وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –

كلية الآداب و الفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص: الدراسات الأدبية المقارنية .

تحت عنوان :

صورة الجزائر في الكتابات الغربيين خلال القرن العشرين

من إعداد الطالب :

عبو كريم

إشراف الأستاذ

د. حسين علام

السنة الجامعية : 2017/2016

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى أرق وأحن إنسانة على الكون إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها، إلى من رباني ورعاني وعلمني، إلى من أنار قلبي بزينة الصدق والأخلاق، إلى من سافر إلى غير رجعة، إلى روح أبي الطاهرة أسكنه الله فسيح جنانه.

إلى من تركهم لي والدي سندا أثناء غيابه، إخوتي وأخواتي.

إلى أساتذة قسم الأدب العربي، إلى كل طلبة ماستر 02 تخصص أدب مقارن وعالمه دفعة 2016 - 2017.

إلى كل عمال مكتبة الآداب وإلى كل من ساهم من بعيد أو قريب في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة دعاء.

إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي.

مقدمة

يعتبر البحث في حقل الصورة من أهم مجالات البحث في الدرس المقارن، كونه يحيلنا على أفضلية لا حصر لها في مكاشفة تصورات الآخر بشأن الأنا، مع الرغبة في تصحيح الطروحات المغلوطة، من هذا المدخل راحت البحوث في حقل الصورائية تفتك قيمتها، وبعدها الاستراتيجي في توجيه العلاقات بين الشعوب في ضوء آدابها ومنجزاتها الفكرية.

لذلك ارتأينا في هذا البحث إلى تقديم دراسة تتمحور حول صورة الجزائر في المخيال الغربي، في سياق تحري المنهجية المعمول بها في دراسة الصورة من منظور الأدب المقارن، ذلك أنّها قناة من قنوات التأثيرعلى الصعيد العالمي.

وهنا في هذه الدراسة سنحاول أن نعالج قضية تمظهر الجزائر في النتاج الأدبي عند الغربيين، و أن نتحرى الموضوعية قدر المستطاع من خلال فرز وتمحيص الأعمال الأدبية والفكرية التي أنتجها رحالة وأدباء غربيين، وبما أن هذه الدراسة تعني أساسا برصد تجلياتها، وكشف ملابساتها المختلفة باختلاف السياقات والمقامات النصية الممكنة، وضعنا بحثنا هذا في خضم تحليل جملة من الإشكاليات الفرعية، ماذا نعني بالصورة في الأدب المقارن؟ وما هي أنواعها؟ وما هي الوسائط المساهمة في تشكيل هذا الحقل؟ وما هو واقع الدراسات الصورائية في الجزائر؟ أما الإشكاليتين الأساسيتين اللتان بني عليهما هذا البحث، ما هي الصورة الحقيقية للجزائر؟ وما هو الهدف وراء هذه الأعمال الأدبية؟ كل هذه الأسئلة وأخرى سنجيب عليها من خلال هذا البحث.

أما الأسباب التي قادتنا إلى اختيار هذا الموضوع، هي المساهمات الجزائرية المتواضعة في مجال البحث في الأدب المقارن من حيث الكم والكيف، خاصة في حقل الصورائية، أمّا السبب الأساسي هو المجهود الجبار الذي تقوم به كلية الآداب والفنون بجامعة مستغانم لإنجاح الملتقى الدولي الذي يتمحور موضوعه حول صورة الثورة الجزائرية عند الآخر، العربي كان أو الغربي، وغيرها من العنوانين كان لزاما للباحث أن يترصد موضوعاته من خلال هذه الملتقيات.

ولأن الصورة لها هدف واضح في تشكيل الفعل الثقافي في سياق ثنائية الأنا والآخر، وكان تحليلنا لهذه الإشكاليات، والبحث في إجابة مقنعة لها وقد قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين مع مقدمة وخاتمة.

وقفنا في الفصل الأول عند الصورة في الأدب المقارن ثم أشرنا إلى الوسائط المساهمة في تشكيل هذه الصورة لنصل إلى المنهج المتبع في حقل الصورائية، وأنهينا هذا الفصل بواقع الدراسات الصورائية في الجزائر.

أما الفصل الثاني هو عبارة عن إجراءات تطبيقية قمنا بتحليل بعض الأعمال الأدبية التي جعلت من الجزائر مسرحا لكتاباتها، خاصة الأدب الفرنسي وهنا تطلعنا إلى شخصيتين بارزتين في الأدب الفرنسي هما ألبير كامو وجون بول سارتر وعدنا بعدها إلى الرحالة الإنجليز، وغصنا في أعماق الشعر الروسي لنوضح ونستخرج الصورة الحقيقية للجزائر، وفي الأخير توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات نجيب فيها على كل التساؤلات.

وقد اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على منهجين التاريخي والتحليلي الذان يقتضيان جمع الحقائق التاريخية وتحليل الأعمال الأدبية.

ويضاف إلى ما تقدمه خصوصية البحث في حقل الصورائية وما تنطوي عليه من صعوبات، تتصل بضبط المادة، وتصنيفها وتحليلها، وقلة المراجع في هذا الحقل خاصة الكتب المترجمة، ولأنّ البحث يتحدد بطبيعة مصادره ومراجعه المتصلة اتصالا وثيقا بموضوعه، كانت هذه المرحلة عتبة أخرى كان لابد من اجتيازها، وقد استغرق ذلك فترة من الوقت قضيناها في التنقل إلى عدد من المكتبات، وزيارة المعارض المخصصة للكتب، واطلاع على دراسات أكاديمية سابقة، ومن هذه المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا البحث. " الأدب المقارن " يوسف بكار وخليل الشيخ، و " الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية " لداود سلوم و " الأدب المقارن " لبول فان تييغم .ترجمة، سامي مصباح الحسامي، و " الأدب العام المقارن" لدانييل هنري باجو، ترجمة غسان السيد، و " الجزائر في عيون الرحالة الانجليز " للاستاذ عبد الله الركيبي، هذه بعض المراجع الأساسية التي اعتمدناه في هذا العمل.

وقد حاولنا الاجتهاد في سبيل إنجاز هذه الدراسة قدر المستطاع، إلا أننا لا ندعي أن دراستنا المتواضعة قد استطاعت تسجيل إسهام حقيقي في تقديم إجابات لمختلف

الإشكالات التي طرحناها، و أخذنا على عاتقنا من بداية البحث إثارة جملة من القضايا والإشكاليات كمحاولة لفتح باب النقاش.

ويرجع الفضل في اكتمال لبنات هذا البحث بعد فضل الله سبحانه وتعالى الي استاذنا المشرف "حسين علام" الذي منحنا من وقته وجهده، فكان نعم المشرف والناصح والموجه فله منا جزيل الشكر وجميل العرفان راجين من الله أن يحفظ فضله.

كما لا يفوتنا في الأخير أن نتوجه بجزيل الشكر إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة التي ستقوم بمهمة القراءة والنقد والتمحيص في هذا العمل، وتسديد هفواته، وتقويم ما اعترى ثناياه من زلات، على أمل أن نكون قد أصبنا فيه الحقيقة التي نشدناها منذ بداية اشتغالنا على هذا العمل الذي نتمنى أن يكون ولو لبنة صغيرة تضاف إلى رصيد مكتبتنا، ومرجعا يعود إليه طلبة العلم في المستقبل.

الفصل الأول: الصورة في الأدب المقارن.

المبحث الأول: مفهوم الصورة وأنواعها.

المبحث الثاني: الوسائط المساهمة في تشكيل الصورة.

المبحث الثالث: منهجية البحث في حقل الصورائية.

المبحث الرابع: واقع الدراسات الصورائية في الجزائر.

1. مفهوم الصورة وأنواعه

- مفهوم الصورة:

الصورة من المفاهيم النقدية التي ليس لها جذور في النقد العربي والتي يصعب تعريفها، إذ كلما حاول تعريفها وقعنا في اختلاف، فهي تختلف من ناقد إلى آخر وتتعدد مفاهيمها بتعدد اتجاهاتها ومنطلقاتها الفكرية والفلسفية.

فقد جاء في لسان العرب مادة " صـ - و - ر " في أسماء الله تعالى: المصور والذي صوّر جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها كل باختلافها وكثرتها، الصورة في الشكل والجمع صوَرُ. وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي والتصاوير: التماثيل قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته.[1] جاء في المصباح المنير مادة "صور" الصورة التمثال وجمعها "صور" مثل غرفة وغرف، وتصورت الشيء مثلت "صُورتَهُ" وشكله في الذهن فتصور هو وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة كقولهم صورة الأمر كذا أي صفته ومنه قولهم "صورة" المسألة كذا أي صفتها.[2]

وعليه تكتسب كلمة الصورة في العربية معاني قريبة من الشكل حسب السياق الذي ترد فيه إذ يمكن أن ترادف: صفة أو هيئة أو خيال أو وهم أو حقيقة.

أ- الصورة في القرآن:

وردت مادة " ص - و - ر " ست مرات في القرآن الكريم، مرتين بصيغة الفعل الماضي:

---

[1] ابن المنظور، لسان العرب، مج 4، دار الصادر، بيروت، د ط، د ت، مادة صور، ص. 473.

[2] أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير، دار المعارف، القاهرة، ط 2، د ت، ص. 350.

الأول: "صورهم" في قوله تعالى: " الله الذي جعل لكم الارض فراشا والسّماء بناءا وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله ربُ العالمين".[3]

والثاني: "صورناكم" في قوله تعالى: « وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ».[4]

الثالثة: وردت بصيغة الفاعل " المصوّر" كما في قوله تعالى: « هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْاسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْارْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .[5]

الرابعة: بصيغة الفعل المضارع " يصورُكم " في قوله تعالى: « هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ».[6]

الخامسة: بصورة الجمع "صوركم" في آية سورة غافر.

والمرة السادسة: بصيغة المفرد "صورة" في قوله تعالى: « في أي صورة ما شاء ركبك».[7]

مجمل كلام المفسرين أن هذه الكلمات تدور حول معنى الخلق والشكل والصفة.

من خلال التعريفات للصورة المتداولة بين الأدباء، والموجودة في الكتب والدراسات الأدبية والبلاغية، يصعب الوقوف على المعنى الحقيقي والمفهوم القاعدي المبدئي للصورة.

حيث جاءت: "بأنها صورة حسية في كلمات استعارية إلى درجة ما في سياقها، نعمة خفيضة من العاطفة الإنسانية ولكنها أيضا شحنت عاطفة خالصة أو انفعالا".[8]

وتعتبر الصورة أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس بها من خلال فاعليته ونشاطه.[9]

---

[3] سورة غافر، الآية 64.

[4] سورة الأعراف، الآية 11.

[5] سورة الحشر، الآية 24.

[6] سورة آل عمران، الآية 6.

[7] سورة الانفطار، الآية 8.

[8] محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص. 32.

يعرفها "عبد المنعم خفاجي" بأنها: « ركن كبير وعنصر جليل من عناصر الأدب الذي هو التعبير بأسلوب جميل من عاطفة الأديب، والصورة في رأي بعض النقاد هي الشكل في النص الأدبي ».[10]

ويعرفها " نعيم اليافي" بأنها: « واسطة الشعر وجوهره »[11]، تبقى الصورة واسطة تعبير الفنان ومبدأ خلقه وتبقى أداته الأولى والرئيسية.

يتسم مصطلح الصورة في الأغلب بالغموض وعدم الدقة، فالصورة من حيث المفهوم « غامضة لكونها تسمح باستعمالها بمعنى عام مبهم جدا وواسع جدا، وذلك بالنظر إلى هذا الاستعمال من منظور أسلوبي خاص وغير دقيقة ».[12]

وفي هذا الغموض وعدم الثقة « عانت الصورة اضطرابا في التحديد الدقيق، مصطلحا مستقرا حتى بدت تحديداتها غير متناهية، وصار غموض مفهومها شائعا بين قسم كبير من الدارسين ».[13]

من الأسباب التي أدت إلى الغموض وصعوبة تحديد مفهوم للصورة « بمالها من دلالات مختلفة وترابطات متشابكة وطبيعة مرنة تتأبى التحديد الواحد».[14]

إنّ الدارس للصورة يجد نفسه دارسا لأهم عناصر التجربة الفنية بل لعناصرها جميعا من فكر وعاطفة وحقيقة وخيال ولغة وموسيقى وأسلوب، فالصورة بذلك طريقة التفكير وطريقة عرض وتعبير.[15]

---

[9] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط 3، 1992، ص. 14.

[10] محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1995، ص. 55.

[1]. نعيم اليافي، مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د ط، 1982ص40.

[2]. فرانسوا مورو، البلاغة المدخل لدراسة الصورة البيانية، ترجمة الولي محمد، حرير عائشة، إفريقيا المغرب، ط 2، 2003، ص. 15.

[13]. بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص. 19

[4]. المرجع نفسه.ص.19

ب- **الصورة عند القدامى:**

لقد انحصرت الصورة في القديم في المحسنات البديعية فلم يكن للصورة قديما سوى مفهوم لا يتعدى حدود التشبيه والمجازر، لأن الصورة تستعمل للتعبير عن المعنى الحسي.

ليست الصورة شيئا جديدا، فإنّ الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في استخدامه للصورة.[16]

بما أنّ الشعر قائم على التصوير منذ القدم، فيلزم أن يكون النقاد القدماء قد عرفوا الصورة على نحو من الأنحاء، لأن دراسة الصورة الفنية قد رسخت في جذورها في الموروث من البحث البلاغي والنقد العربي.[17]

لقد تحدث كثير من النقاد القدامى عن الصورة، لكن استعراض كل ما قاله هؤلاء أمر يطول، مما يجعل الحديث مقصورا على اثنين من كبار النقاد وهما: "الجاحظ" و "عبد القاهر الجرجاني".

يقول "الجاحظ": « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء وصحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير».[18]

فهنا نفهم أن الشعر عند "الجاحظ" لا يمكن أن يسمى شعرا ما لم تدخله الصناعة الفنية الدقيقة لتبرر معانيه، لتضعها في صورة رائعة، يضفي عليها الخيال ألوانا جذابة فتعلق بالنفوس ويحس الإنسان معها متعة القراءة والتفكير معا.[19]

---

[15] إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ط، 2000، ص. 9.

[16] إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1995، ص. 230.

[17] المرجع السابق. إبراهيم أمين الزرزموني ، ص. 93.

[3]الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 3، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1965، ص. 131.

[19] عبد الله التطاوي، الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، ج 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1997، ص. 30.

بعبارة أخرى الشعر عند "الجاحظ" صناعة ونوع من النسج المترابط وجنس من الأجناس الفنية القائمة على التصوير، ويبدوا أنه يقصد بالتصوير صياغة الألفاظ صياغة حاذقة تهدف إلى تقديم المعنى تقديما حسيا وتشكيله على نحو صوري، أو تصويري... لذا يعد التصوير الجاحظي خطوة نحو التحديد الدلالي لمصطلح الصورة.[20]

أما مفهوم الصورة عند إمام البلاغيين "عبد القاهر الجرجاني" فقد حدده بقوله: « وأعلم أن قولنا "الصورة" إنما هو تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة ذلك...، وليست الصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل في كلام العلماء ويكفيك قول "الجاحظ": وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير».[21]

فعبد القاهر يرمي إلى بيان أن الصورة هي الشكل الذي تتشكل فيه المعاني سواء أكانت حقيقية أم مجازية، فتصوير المعاني عنده يعني أن يصوغها الأديب ويضمها ويشكلها على هيئات معينة هي أساس التفاضل والتمايز.[22]

وهذا ما يختصره "الجرجاني" في عبارته التي يتحدث فيها عن القدماء وفهمهم للصورة:

« إنهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ، ولكن صورة وصفة وخصوصية تحدث في المعنى».[23]

لقد عالج النقد العربي القديم مفهوم الصورة تحت مسألة اللفظ والمعنى، وقد تعددت الأقاويل البلاغية والنقدية العربية القديمة في محاولة للتوصل لمفهوم تام وشامل.

---

[20] المرجع السابق . بشرى موسى صالح، ص. 21.

[21] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط 3، 1992، ص558 .
.

[22] المرجغ السابق. إبراهيم أمين الزرزموني ، ص. 95.

[23] الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1990، ص. 293.

ج- **الصورة عند المحدثين:**

لقد توسع مفهوم الصورة عند المحدثين إلى حد أصبح يشمل على الأدوات التعبيرية، مما تعودنا على دراسة في علم "البيان" و "البديع" و"المعاني" و "العروض" و"القافية"، و "السرد" وغيرها من وسائل التعبير الفني فهي عند " عبد القادر القط ": « الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجازر والترادف والقضاء والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني ».[24]

مفهوم الصورة عند بعض النقاد المحدثين، وجدناها عند " أحمد حسن الزيات ": « هي إبراز المعنى العقلي، أو الحسي في صورة محسة والصورة خلق المعنى العقلي، أو الحسي في صورة محسة، والصورة خلق المعاني والأفكار المجردة، أو الواقع الخارجي من خلال النفس خلقا جديدا ».[25]

بينما يرى الأستاذ " أحمد الشايب " أنّ الصورة هي: « المادة التي تركب من اللغة بدلالاتها اللغوية والموسيقية، ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل ».[26]

يرى الأستاذ "العقاد": « أن الصورة الأدبية عند الشاعر تتجلى في قدرته البالغة على نقل الأشكال الموجودة، كما تقع في الحس والشعور والخيال، أو هي قدرته على التصوير المطبوع، لأن هذا في الحقيقة هو فن التصوير كما يتاح لأنبع نوابغ المصورين».[27]

أما الاستاذ" محمد غنيمي هلال" فقد عرض تعريفات متعددة للصورة وهو يرى أن ندرس الصورة الأدبية في معانيها الجمالية، وفي صلتها بالخلق الفني والأصالة، ولا يتيسر ذلك إلا إذا نظرنا لاعتبارات التصوير في العمل الأدبي، وإلى موقف الشاعر في

---

[24] عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1978، ص. 435.

[25] الرجع السابق. إبراهيم أمين الزرزموني ، ص. 98.

[26] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، النهضة المصرية، القاهرة، ط 10، 1994، ص. 249.

[27] المرجع السابق. إبراهيم أمين الزرزموني ، ص. 99.

تجربته، وفي هذه الحالات تكون طرق التصوير الشعرية وسائل جمال فني مصدره أصالة الكاتب في تجربته وتعمقه في تصويرها، ومظهره في صورة نابغة من داخل العمل الأدبي والمتأزرة معا على إبراز الفكرة في ثوبها الشعري.[28]

أما عند أستاذنا "علي صبح": « الصورة الأدبية هي التركيب القائم على الأصالة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها الشاعر- أعنى خواطره ومشاعره وعواطفه- المطلق من عالم المحسنات ليكشف عن حقيقة المشهد والمعنى في إطار قوي تام محس مؤثر على نحو يوقظ خواطره ومشاعره في الآخرين».[29]

إذن الصورة هي وسيلة الأديب لتكوين رؤيته وعرضها للآخرين، وهي استدعاء للعبارات والألفاظ، الحقيقة والخيال والموسيقى مع مزج ذلك بعاطفة الشاعر ووجدانه.

قد حظيت الصورة في النقد العربي الحديث باهتمام عدد من النقاد الذين قاموا باستعراض جهود القدامى وتقويمها.

" فالنقاد المحدثين قطعوا شوطا كبيرا في تعريف الصورة وتحديد مدلولها، ومعالجة قضاياه فإننا لا يمكن أن نغفل جهود القدماء، لأننا عندها نكون كالطائر الذي يرغب أن يطير بجناح واحد... وأنى له ذلك؟! [30]

مما سبق فإن الصورة مصطلح قديم الظهور عند العرب الذين استعملوا صورا في شعرهم وكثيرا ما تغنوا بها، وكانت مصدر فخرهم مثل صورة المرأة صورة الفرس... ولكنه كدرس أدبي يعتبر حديث النشأة في الدراسات الأدبية المقارنة وهو مبحث جديد من مباحث الأدب المقارن.

يهدف الأدب المقارن إلى دراسة العلاقات بين الآداب العالمية من حيث التأثير والتأثر وأدب الصورة- دراسة صورة الآخر - هو واحد من أهم الموضوعات الجديدة في هذه الدراسة الذي هو حقل من حقول الأدب المقارن.

بدأ الاهتمام في العقود الأخيرة بأحد فروع الأدب المقارن هو " علم دراسة الصورة " أو " الصوروولوجيا " Imagologie "، وقد شهد هذا العلم ازدهارا ملحوظا بسبب المناخ السلمي الذي بدأ يظهر لدى أغلب الدول.[31]

---

[28] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1997، ص. 387.

[29] المرجع السابق. إبراهيم أمين الزرزموني ، ص. 99.

[30] المرجع نفسه، ص. 93.

لقد بدأت هذه الدراسة التي احتضنتها المدرسة الفرنسية مع " جون ماري كاريه " " Jean Marie Carée " ثم أخذها " ماريو فرانسوا غويار " Mario Francois Guyard " ودافع عنها ونشرها في الفصل الأخير من كتابه " ضمن سلسلة ماذا أعرف " عام 1901 " الأجنبي مثلما نراه ".

بعد ذلك بوقت قصير أبدى " رينيه ويلك " " René Wellek " ضمن مقالة في الكتاب السنوي للأدب المقارن والأدب العام، معارضة شديدة للدراسات التي يعدها أقرب إلى التاريخ أو تاريخ الأفكار منها إلى الأدب.

بعد عشر سنوات ندد " ايتيامبل " Etiemble " في كتابه مقارنة ليست صوابا بالأعمال التي تهم التاريخ وعالم الاجتماع أو رجل الدولة.[32]

لقد أثارت دراسات الصورة انتقادات وكانت تمتلك هذه الانتقادات بعض المسوغات، إذ أخذ بعين الاعتبار بعض رسائل الدكتوراه القديمة أو المقالات التي يظهر فيها بصورة "كاريكاتورية " سقطات هذا النوع من البحث قائمة بالموضوعات، تجريد النصوص المقبوسة ودراستها كوثائق، توسع في الاقتباسات، تفسيرات مبسط، خلط بين مجال الأدب ومجال التاريخ......مع ذلك وفي الوقت نفسه، وضعت سلسلة من الرسائل قاعدة " دراسة الصورة " Imagologie "[33]، بمعنى أنها دراسة التي تهتم بمعرفة الصورة الذهنية التي يشكلها شخص عن نفسه وعن الآخرين.

ترجع بدايات هذا الفرع من فروع الأدب المقارن إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما قامت الأديبة الفرنسية "مدام دي ستال" "Madame De Staël" بزيارة طويلة لألمانيا، وذلك في وقت تصاعد فيه العداء وسوء الفهم بين الشعبين الفرنسي والألماني، وأثناء الإقامة فوجئت الأديبة بمدى سوء الفهم والجهل الذي يعاني منه الفرنسيون لألمانيا رغم الجوار الجغرافي، فقد تحقق لها أن الفرنسيين يجهلون أبسط الأمور المتعلقة بالمجتمع والثقافة والأدب والطبيعة في ألمانيا، فرسموا في أذهانهم

---

[3] ماجد حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دراسة ،منشورات اتحاد الكتاب العرب.دمشق.سوريا.2000. ص. 239.

[32] دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، د ت، ص. 89.

[33] المرجع نفسه، ص. 89.

صورة الشعب فظ غير متحضر، يتكلم لغة غير جميلة، ليس له إنجازات أدبية أو ثقافية تستحق الذكر، إنها باختصار صورة يرسمها شعب لشعب آخر عدوا له.[34]

اكتشفت عبر رحلتها أن الشعب الألماني يتمتع بمناقب جمة « الطيبة والاستقامة والصدق، كما فوجئت بجمال الطبيعة لاسيما نهر الراين والغابة السوداء، وبغنى الأدب الألماني والمستوى الرفيع الذي بلغته الفلسفة الألمانية ».[35]

فسعت مدام دي ستال" "Madame De Staël " إلى تصحيح ما في أذهان الفرنسيين من صور مشوهة عن الألمان، وبلادهم وثقافتهم وكانت محصلة الرحلة كتابا عنونته ب " عن ألمانيا " ويعد هذا الكتاب بما يعرف بالدراسة الأدبية للآخر " الصورولوجيا ".

اشتهرت Madame De Staël بسعة إطلاعها على الآداب الأجنبية عامة والأدب الألماني خاصة، وانتقدت أولئك الذين يحتقرون الآداب الأجنبية ولا يهتمون بدراستها ودعت إلى دراسة الآداب في لغاتها أصلية.[36]

استشهدت بالآداب الأجنبية لتبين وجوه تشابهها ووجوه اختلافها، لعب مؤلفها " عن ألمانيا " De L'Allemagne " دورا هاما في مصير الدراسات المقارنة وقد ثبت فيه أفكارا جديدة استقتها من الأدب الألماني.

من أهم الدراسات في هذا المجال "علم الصورة ":

- رسالة " ماريو فرانسوا غويار" "Mario François Guyard" صورة بريطانيا العظمى في الرواية الفرنسية 1914 - 1940.
- رسالة "ميشيل كادو" صورة روسيا في الحياة العقلية الفرنسية 1839 - 1856.
- رسالة "أندري مونشو" "Andri Moncho " ألمانيا أمام الآداب الفرنسية من عام " 1814 - 1835".[37]

إن دراسة الصورة لم تقتصر على الأدب، بل شملت حقول المعرفية المختلفة أيضا لهذا عانت من بعض الانحرافات، فقد ركزت بعض الدراسات اهتماما على النصوص

---

[34] المرجع السابق. ماجد حمود ، ص. 241.

[35] المرجع السابق ،ماجد حمود . ص. 242.

[36] ريمون طحان، الأدب المقارن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1972، ص. 23.

[37] المرجع السابق. دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ص. 89.

الأدبية دون الانتباه للتحليل الثقافي التاريخي، هناك دراسات أخرى ركزت على الجوانب التاريخية والثقافية وأهملت الجانب الجمالي للأدب، وبذلك تتحول الدراسة إلى إحصاءات اختزالية لصورة الأجنبي.[38]

إن علم دراسة الصورة بحاجة إلى دراسات علمية " علم السلالات والتطور الإنساني أي الإنتربولوجية وعلم الاجتماع وعلم التاريخ ".[39]

دراسة الصورة هي إعادة تقديم واقع ثقافي يكشف من خلاله الفرد والجماعة الذين شكلوه أو الذين يتقاسمونه أو ينشرونه، ويترجمون الفضاء الاجتماعي والثقافي والإيديولوجي، الذي يريدون أن يتموضعوا ضمنه، هذا الفضاء المطروح كأفق للدراسة هو المسرح والمكان، اللذان توضح بهما بطريقة مزخرفة أي بمساعدة الصور، الكيفية التي ينظر وفقها مجتمع إلى نفسه ويتأمل فيها، وكذلك الكيفية التي يفكر بها الآخر مما لاشك فيه. في الواقع أن صورة الأجنبي يمكن أن تعبر أيضا عن أشياء حول الثقافة الأصلية التي من الصعب أحيانا تصورها والتعبير عنها وتخيلها، فالصورة هي إذن تعبير أدبي أو غير أدبي عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي.[40]

يراها البعض الآخر أنها: « تعبير أدبي يشير إلى تباعد ذي دلالة بين نظامين ثقافيين ينتميان إلى مكانين مختلفين، وبذلك تكون الصورة التي هي جزء من التاريخ بالمعنى الواقعي والسياسي، جزءا من الخيال الاجتماعي والفضاء الثقافي أو الإيديولوجي الذي تقع ضمنه، فيتضح أن الهوية القومية تقف مقابل الآخر الذي قد يكون مناقضا للأنا أو ندا مكملا لها، تبعا للعلاقة التاريخية التي نشأت بينهما ».[41]

حددها بعض اللغويين مثل "إميل بينفينست" "Emil Benveniste "، أنها تحمل كل سمات اللغة، ويمكن تطبيقها دون تعسف على الصورة، وهي تعبير وتشكيل ضمن وحدات متميزة كل واحدة منها هي إشارة، ومن هنا تأتي ضرورة وصف هذه اللغة التي هي الصورة، فهي إذن مرجع بالنسبة لكل أعضاء جماعة بشرية واحدة تكشف صورة الآخر الانتساب إلى ثقافة.[42]

---

[38] المرجع السابق. ماجد حمود ، ص. 258.

[39] المرجع نفسه، ص. 259.

[40] المرجع السابق .دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ص. 91.

[41] المرجع السابق. ماجد حمود، ص. 240.

[42] المرجع السابق. دانييل هنري باجو ، ص. 92.

فوظيفتنا التعبير عن العلاقات بين الشعوب والثقافات، فهي فعل ثقافة وممارسة إنسانية " متعلقة بالإنسان" للتعبير عن الهوية والغيرية في الوقت نفسه.[43]

تفيد دراسة الصورة للآخر في توسيع أفق الكتابة والتفكير، والعلم بصورة مختلفة، إنها إغناء للشخصية الفردية من جهة والتعرف الذاتي من جهة أخرى، هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجماعي فتفيد في تصريف الانفعالات المكبوتة تجاه الآخر أو في التعويض وتسويغ أوهام المجتمع الكامنة في أعماقه، كذلك تبين الصورة المغلوطة المكونة عن الشعوب فتسهم في إزالة سوء التفاهم، وتؤسس للعلاقات معافاة من الأوهام والتشويه السلبي والايجابي، تعطي الآخر حقه كما تعطي الذات.[44]

كثيرا ما يتم تلقي صورة الآخر عبر ترجمة النص الأجنبي وتوضيحه بمقدمات وعبر مقالات نقدية ودراسات أدبية كتبت للدوريات، والصحافة وهي تتناول الآداب الأجنبية ويتم تلقيتها عبر الإخراج السينمائي،و أدب الرحلات وعبر الإبداع الأدبي الذي يجسد الآخر.[45]

نخلص في الأخير إلى أن الصورة مجموعة من الأبحاث المنجزة من قبل باحثين أنثربولوجيين، وفي تعريف شامل لها أنها رؤية فرد أو شعب إلى شعب آخر، وهذه الرؤية تجسدت في كتابات مختلفة منها، الرحلات، المذكرات: كمذكرة "ألفونس دوديه" "Alphonse Daudet " مذكرة " سفر إلى مليانة "، الروايات والقصص وهنا نقول ان علم الصورة يكشف عن الصورة ويناقشها.

إن الاختلاف بين الأمم يكون في أخلاقها وطبائعها، ودراسة بلد ما في أدب أمة أخرى، هو نوع من الدراسة يعتمد على أدب الرحلات، وما في القصص والمسرحيات من شخوص مجلوبة، كما يتناول رواية خاصة لبلد من البلاد من خلال أدب أمة من الأمم، أو رؤية كاتب معين لبلد من البلاد الأجنبية التي عاش فيها، وليس من الشك أن هذا النوع متوافر في الآداب المختلفة نتيجة للرحلات المتصلة بين الشعوب، وأحيانا الهجرات التي يقوم بها أدباء في بلد ما إلى بلاد أخرى ينتقلون إليها ويقيمون بها.[46]

---

[43] المرجع السابق.دانييل هنري باجو ، ص. 93.

[44] المرجع السابق .ماجد حمود ، ص. 249

[45] المرجع نفسه، ص. 249.

[46] محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار الشروق، القاهرة، د ط، 1994، ص. 39.

وهنا نقول ان دراسة بلد ما في أدب أمة أخرى، ترسخ في عقلية شعب معلومات عن شعب آخر قد تكون صحيحة أو خاطئة، وتظهر هذه المعلومات في الأدب الذي يعتبر سجلا صادقا لشعور شعب معين، وصورة ثابتة للعلاقات التي ترتبط بغيره، وقد تتجلى هذه الصورة في أدب الرحلة وفي مجمل الإنتاج الأدبي.[47]

وتنقسم هذه الدراسة إلى نوعين:

الأول: دراسة بلد ما كما يصوره أدب آخر.

الثاني: دراسة بلد ما كما يصوره مؤلف ما من أمة أخرى.[48]

أمثلة النوع الأول: صورة انجلترا في الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر، وكذلك صورة اسبانيا في الفتح العربي منذ الفتح الإسلامي، وفي هذا لابد من الوقوف على تاريخ الأدباء الذين انتقلوا إلى البلد الذي يراد تصويره أو رسم صورة عنه، ثم تبحث الدراسة في مدى صدق هذه الصور، وهل هي بالفعل معبرة عن البلد المطلوب تصويره وإلى أي حد؟[49]

فمثل هذه الدراسات تفيد في فهم الشعوب بعضها لبعض، وإدراك ما يكون من عوامل مشتركة قد تحقق أهدافا أخرى في تطوير العلاقات والصلات وتدعيمها مما يعود بالنفع على البلدين.

أما أمثلة النوع الثاني، الذي ينهض بدراسة بلد كما يصوره مؤلف ما من أمة أخرى، فأقربها على سبيل المثال صورة اسبانيا كما انطبعت في ذهن " شوقي" أثناء إقامته هناك في المنفى وكما بدت في شعره.[50]

وبما أن المقارن يستخرج هذه الصورة من الأحداث السياسية التي تجري في البلد الذي يدرسه ومن صحافته ومطبوعاته، نراه يبتعد أحيانا عن الأدب الصرف ليخوض ميادين ليست من اختصاصه، ولذا نثبت هنا أهم القواعد التي تتبع في معالجة مواضيع كهذه نلخصها في:

- الاهتمام بالأدباء البارزين والاهتمام بالإنتاج الصحفي الذي لا يمد بصلة إلى الأدب فيتحول المقارن إلى مؤرخ أحداث سياسية.

[47] المرجع السابق. ريمون طحان ، ص. 61.

[48] المرجع السابق.محمد زكي العشماوي، ص. 39.

[49] المرجع نفسه، ص. 40.

[50] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- دراسة تاريخ حياة الأدباء الذين صوروا ذلك البلد والبحث عما إذا كانوا قد عرفوه بالزيارة والمشاهدة والرحلة المباشرة أو بواسطة المصادر المكتوبة، ثم بيان مدى انطباق صورة البلد على حقيقته وكيفية استقاء الكتاب معلوماتهم عن البلد المعني.
- من المستحسن أن يقوم المقارن بزيارة البلد الأجنبي وأن يسير على خطى الكتاب الذين رحلوا إليه، وأن يكون ضليعا في العلاقات الدولية، واسع الاطلاع ليتسنى له دقة التحليل والمقارنة واستقراء الحقيقة بغية إظهار المفارقات التي تقوم بين الواقع والتحوير الأدبي كالخرافة.[51]

إن تحليل صورة بلد ما في أدب غيره صعب، وخاصة عندما تطغى الإشاعات على الحقيقة وتغزو الخرافات عالم الواقع، وعندما يصعب تحديد مصدره الصورة العامة التي رسخت بواسطة الأدب في أذهان الجماعة.[52]

سعت الدراسات المقارنة في تحديد وسائلها للخوض في هذا النوع من الموضوعات لإزالة الغشاوة التي حجبت الحقيقة عن الأعين.

هناك نمطين من الصورة، النمط الأول فهو نمط سلبي أما الثاني فهو إيجابي.

2- أنواع الصورة

أ- الصورة السلبية:

إنّ غياب الموضوعية في رصد الصور والتعبير عنها عموما هو ما جعل الأديب أو الرحالة أو المستشرق يقدم صورة سلبية عن بلد ما على الرغم من أنّه قد زاره، وتعرف عليه عن قرب، ولذلك نجد **إدوارد سعيد** في كتابه الشهير "الاستشراق" وهو يوضح مفهوم الشرق عند المستشرقون يقول **" أنّ الشرق الذي يتحدث عنه المستشرقون غير موجود، فهو شرق من صنع المخيلة الغربية. وإذا كان الحديث عن سلبية هذه الصورة معتذرا فإن حديثا عن الرحلات التي قام بها الغربيون إلى الوطن العربي سيفضي إلى بناء ذلك التصور ولو بشكل جزئي[53].**

---

[51] المرجع السابق،ريمون طحان ، ص. 65.

[52] المرجع نفسه، ص. 66.

[53] يوسف- بكار -خليل الشيخ، الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، القاهرة، مصر، 2009، ص. 211.

ومن بين الرحلات التي ساهمت في تشكيل صورة سلبية عن الجزائر وساندت الاستعمار الفرنسي وأيدت نفوذهم وسياستهم بدعوى نشر الحضارة والتقدم في الجزائر وهي كثيرة مثل:

1- كتاب " الجزائر على حقيقتها " للمؤلف. مـ _ دستوت (M. DSTOTT)[54]*.

2- كتاب إفريقيا المستنيرة للمؤلف ه - ت كيني(H- T Keeny)**.

3- كتاب " الجزائر اليوم " للرائد قوردون كاسلي (Gordon Gasly)***.

4- كتاب " في إفريقيا الفرنسية " مشاهد وذكريات للمؤلفة بيتم إدوارد - Miss Bethem Edward****.

5- كتاب " بلد القراصنة " للمؤلف " إيكسان فليدنج" xan fielding*****.

6- كتاب " الملعب الجديد " أو " جولات في الجزائر" للمؤلف ألكسندر أ. كنوكس Alexander A. knox[55].

ولذلك نقول أن دراسة المقارن لهذه الصورة السلبية لها قيمتها، حيث تكشف عن تصورات الأمم بشأن بعضها البعض، حيث تكون محكومة بأفكار مسبقة أو سباقات

---

[54]* مـ - دستوت " الجزائر على حقيقتها "، ترجمة الدكتور عبد الله الركيبي:
"The Real Algéria " by: M.D STOTT. Hurot And. black et limhdet, London. 1914.

** هـ – ت كيني " افريقيا المستنيرة " ترجمة وتحليل عيد الله الركيني:
In lightest Africa by H.TKEENY- London. 1935 Jonh Murray. Albelarle. STREET-w.

*** قوردون كاسلي " الجزائر اليوم "، ترجمة وتحليل عبد الله الركيبي:
Algéria to dong. lient – col. Gordon casly F. R. G . S société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord –T– wenser lauvie L–T, D. London.

**** الآنسة بيتم إدوارد " في إفريقيا الفرنسية "، مشاهد وذكريات، ترجمة وتحليل الأستاذ عبد الله الركيبي:
In frensh Africa. by Miss Bethem Edward (scenesand Memorys), London, champman and HALL-L-T- D, 1912.

***** إكسان فليديج " بلد القراصنة " ترجمة وتحليل الأستاذ عبد الله الركيبي:
Corsair country - Xan fielding, the travel book club, 121 charing Gross Road London, 1958.

[55] ألكسندر أ. كنوكس " الملعب الجديد " أو " جولات في الجزائر" :
the new Play ground of wandering in Algéria by Alexander A. Knox, kegan paul paternoster squere, London. 1881.

إيديولوجية وسياسية، وحضارية معينة، فلكي نصحح مسار هذه التصورات لابد من دراستها وتحليلها.

ب- **الصورة الايجابية**:

إنّ الرحلة إلى باريس من روافد احتكاك العرب بالغرب في العصر الحديث، لذلك نجد تلك الصورة الايجابية التي رسمها الرحالة العرب لهذه المدينة في أدبهم حيث امتازت بالإعجاب والنظر إلى طبيعة هذه المدينة ووصفهم لها.

ونذكر من هذه الرحلات رحلة الطهطاوي الذي أقام بباريس في الفترة ما بين (1826 -1831) وسجل تفاصيل هذه الإقامة في كتابة " تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" وكذلك رحلة "باريس".

والقارئ لهذه الكتب وغيرها قد اتجه وجهة إيجابية بكل ما تحمله الكلمة من معاني، وتتجلى هذه الايجابية من خلال تشبيه هذه المدينة بالجنة وربطها بفكرة التطور.

" وإذا كان الربط بين باريس وبين الجنة، فإنّ الربط بين باريس وفكرة التقدم الفلسفي لها أبعاد، وقد تجلت هذه الفكرة في حديث طه حسين عنها، وفي حديث توفيق الحكيم وزكي مبارك، فقد تحدث طه حسين عن باريس في كتابه " الأيام " وفي " من بعيد " مثلما تحدث عنها في " زهرة العمر " وزكي مبارك في ذكرياته، وبدت باريس في هذه الكتب نقطة الانطلاق نحو مشروع حضاري يتفيأ التقدم، وتكون باريس فيه بما تجسده من مبادئ فكرية نموذجا يحتذى به"[56].

أمّا إذا تكلمنا عن الرحلات أو الكتابات الغربية التي كتبت بإيجاب عن الجزائر أي تلك التي كتبها الغربيين بفهم ووعي كبيرين مثل:

1- " بوابة الصحراء بسكرة " للمؤلف س.ه. ليدر.[57]

2- " جولات في الجزائر العاصمة وما حولها " للمؤلف لـ .ج سيقوين[58].

3- " الصحراء ملاذا " للمؤلفة " ايديت هالفورد نيلسون" التي تحدثت عن ثورة الأوراس عام 1916.

---

[56] المرجع السابق.يوسف بكار وخليل الشيخ.ص.212.

[57] س. هـ. ليدر، كتاب (بوابة الصحراء بسكرة وما حولها، ترجمة وتحليل الأستاذ عبد الله الركيبي:

The Désert Gâte Biskra And Therabout, S. H Leeder, London, 1910.

[58] ل .ج سيقوين " جولات في الجزائر العاصمة وما حولها " ترجمة وتحليل الأستاذ عبد الله الركيبي:

وبغض النظر عن سلبية الصورة أو إيجابياتها فإنّ تحليل عناصرها، والبحث في ملابساتها، وما تحمله من دلالات ومعاني تتخطى حدود النص المكتوب. لذلك نجدها تعبر عن تجربة شخصية للواصف مع مكان انتمائه الإيديولوجي قبل أي شيء آخر.

2: الوسائط المساهمة في تشكيل الصورة.

ا- الترجمة:

تعد الترجمة وسيطا هاما في تشكيل الصورة، بالنظر إلى الدور المهم الذي تلعبه في سبيل نهضة الأمم، وهي تفسح مجال الاحتكاك والتعارف، والتحاور والتفاعل.

وقد عرف " دانييل هنري باجو " الترجمة فقال: " تعني الترجمة أن ننقل نصا من ثقافة إلى أخرى، ومن منظومة أدبية معينة إلى منظومة أخرى، إنّها إدخال نص في سياق آخر "[59].

لذلك تعد الترجمة رافدا من روافد الدراسات المقارنة، بما تعمل عليه من نقل للنصوص من أدب قومي إلى أدب قومي آخر، حيث تعتبر انتقالا لغويا وقفزا بالنص وهجرة به من نظام لغوي إلى نسق آخر، ليعيش في إطارين قوميين مختلفين بما ينطوي على تلك الهجرة من أبعاد فكرية، وأسلوبية وجمالية، لأنّ عملية نقل النص ليست عملية آلية، بل هي إنتاج جديد للنص ضمن أطر لغوية جديدة[60].

ولذلك يعد المترجم مفسرا لما يجعل منه ناقدا، وعليه ف " إنّ إعادة الكتابة عنده هي عمل التفسير، وإعادة التفسير، وهو بدوره سيثير أحكام الجمهور على الترجمة، والنص الأصلي دون شك، وعلى الصورة الأدبية والجمالية، وحتى الأخلاقية للأدب والثقافة الذين جاء

منهما هذا النص (الثقافة - المصدر) بصورة أو بأخرى يحتفظ النص المترجم ببعض السمات الأجنبية، وإذا حاول أن يذوب في النتاج الأدبي للبلد المترجم، أو في (الثقافة، المستقبلة) فإنّه سيكون دائما إلى حد ما أدبا وفي النطاق الذي لا يستطيع فيه (الأدب المترجم) أن يمحي بصورة كاملة، أصله الأجنبي فإنه يثير قراءات ليست فقط ذات

---

[1] المرجع السابق. دانييل هنري باجو، ص95.

[60] ينظر: المرجع السابق، يوسف بكار خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص. 203.

قيمة جمالية، إنّ دراسة هذه القراءات لا تؤدي إلى وعي الطبيعة الخاصة لبعض الاتصالات الأدبية[61].

ولذلك فإنّ الترجمة على الرغم من كونها وسيطا جيدا في مد جسور التعارف بين الأمم، إلا أنّها **" لا قيمة لها إذا لم تكن نقية، وأمينة جدا، وعلى الباحث المقارن أن يلاحظ إذا ما كانت الترجمة كاملة أو ناقصة، لأن سقوط بعض الترجمات يسقط بعض أثر الكتاب "[62].**

ولهذا لابد من الإشارة إلى أنّه **" لا يضطلع بعبء الترجمة إلا من رسخت قدمه في لغته، وعرف لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية، واستطاع أن يغذي أدبه بأدب غيره، وأدب غيره بأدبه، ولا يكون عمله مجديا إلا إذا كان النقل يحافظ على روح النموذج المنقول وتستطاب مطالعته في الترجمة، وتبحث على المزيد من المعرفة "[63].**

ولذلك نجد أنّ الترجمة لا تتعلق بنص أصلي بل هناك استثناء ف **"عندما نتكلم اليوم عن الترجمة، فإننا نعني ترجمة نص معين إلى لغة ثانية ترجمة تامّة وافية بقدر الإمكان، ويجب أن تكون الترجمات التي لعبت دورا هاما في المبادلات الأدبية مطابقة لهذا التعريف، إلا أنّ كثيرا من الترجمات لم تتناول النص الأصلي، وإنّما اعتمدت ترجمة أخرى في لغة أخرى، إنّها ترجمة الترجمات شأن شكسبير الذي لم يعرف المجر، وبلاد** صرب **مدة طويلة، إلاّ عن طريق الترجمات الجزئية لبعض الترجمات الألمانية"[64].**

الترجمة بقدر ما تبتعد عن النص الأصلي بقدر ما تتحرى عن الأمانة والكمال، ففي كل مرّة يترجم فيها النص إلاّ ويفقد بعضا من عناصره الفنية، والإيديولوجية بغض النظر عما يبذله المترجم من جهد للحفاظ على الأصل.

---

[61] المرجع السابق، دانييل هنري باجو، ص. 63.

[62] داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2003، ص. 26.

[63] مختار نويرات، الترجمة عامل أساسي في الأدب المقارن، أعمال الملتقى الوطني الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب عن العرب، المصطلح والمنهج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص. 160.

[64] بول فان تيغم، الأدب المقارن، ترجمة: سامي مصباح الحسامي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان (د. ت. ط)، ص. 137.

وبفضل الترجمة كانت الكتب " **تنتقل من أمة إلى أمة، وتمكن بعضها من عبور القارات، مما سهل عملية نقل الثقافات، ولعلى كتاب " ألف ليلة وليلة " أشهر هذه الكتب التي تخطت الحدود، وبدّلت في الآفاق "[65].**

ولذلك فإنّ الترجمة ساهمت إلى حد كبير في تعريف الشعوب ببعضها البعض، ونجدها قد فتحت قنوات جيدة للاتصال والحوار فيما بينها.

ب- الرحلة:

الرحلة هي انتقالا وترحالا من موطن للآخر، بالإضافة إلى المغامرة والمخاطرة ومرور بتجارب وتعتمد على المشاهد في التعريف، وكذلك ثقافة الآخر.

" فقد كان للأدباء الرحالة إسهام في تشكيل صورة (image) أمة في أدب أمة أخرى من خلال رصدهم لطبيعة العلاقات التي تسود بين الأمم والشعوب، سواء كانت هذه الصورة إيجابية أو سلبية تبعا للحالة والعلاقة القائمة بينهم، فإذا كانت هذه العلاقة تشوبها حالة من العداء، كانت النظرة أو الصورة سلبية، وإن كانت العلاقة تكتنفها حالة من الإعجاب والانبهار كانت الصورة إيجابية مشرفة، يجري بناؤها من عناصر متباينة تمثل في مجموعها الحالة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي صدر عنها ذلك التصور"[66].

والرحلة إذا كانت اختيارية أم اضطرارية فإنّها كثيرا ما تلعب الدور ذاته بالقياس إلى ما يترتب عنها من نتائج، لذلك **" قد يساعد الأجانب المرغمون على الإقامة في بلد معين، أو على الأقل الذين تأقلموا نتيجة إقامتهم الطويلة فيه، على إطلاع ذاك البلد إلى حد ما على آداب بلادهم الأصلية "[67].**

لذلك تبقى الرحلة تلك الممارسة المفيدة لما تفتحه من آفاق للاتصال والتفاهم بين الشعوب، قد لا يحققها الإطلاع على الكتب، أو حتى دراستها والتنقيب فيها: حيث **" تساعد هذه الرحلات على إدراك المزاج الشخصي لشعب من الشعوب، والعادات والميول التي تتحكم في تفكيره واتجاهاته، فتجعل فنا من فنون الأدب يروج عنده، ولا يروج عند غيره من الشعوب، ومؤرخوا الأدب يهتمون عادة بالأعلام من الأدباء والذائع، المعروف من الآثار الأدبية، ولكن هناك من الأدباء نوابغ مغمورين، ومن**

---

[65] محمد التونجي، الآداب المقارنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1995، ص. 39.

[66] المرجع السابق، يوسف بكار خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص. 210.

[67] المرجع السابق، بول فان تيغم، ص. 131.

الأعمال الأدبية ثروات مدفونة لم يقدر لها أن تطفوا على السطح، والرحالة هم الذين يستطيعون أن يصلوا إلى هؤلاء الأدباء، وهذه الثروات الأدبية، ولهذا يزودون الدراسة بكل جديد "[68].

فالرحلة هي قناة إستراتيجية للتعرف عن شعب ما سواء ما تعلق بخصوصياته المادية من عادات وسلوكات، أو ما تعلق بخصوصياته المادية من عادات وسلوكات، أو ما تعلق بالجانب المعنوي كالميول، وطرق التفكير، ولذلك نجدها تفتح باب المعرفة، وتحرك الفضول للاكتشاف المجهول كخطوة مهمة في سبيل البحث الجاد.

وإذا كانت الرحلة من توقيع أديب ما، أو كانت على قدر ما من الأدبية، فإنّها تصبح **" نوعا أدبيا يفسح المجال لترسيخ تقاليد الموازنة بين عالمين وقيمتين، وصورتين، حتى في الحالات التي يقتصر فيها الراحل على مجرد وصف العالم الجديد، لأنّ هذا الوصف يخضع عن وعي أو لا وعي لمنظور وثقافة الواصف الذي يعمل على تحويل لغوي، ومفهومي للمنظورات "[69].**

فالرحالة مهما حاول لا يمكنه أن يعطي صورة حقيقة عن الآخر، حتما أنّ الصورة ستنحرف عن واقعيتها، لأنّه لا يراعي فيها الموضوعية بل يراعي المتلقي، وطبيعته السيكولوجية والسوسيولوجية.

وهنا نضرب المثل عن بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا الشرق والجزائر خاصة في القرن العشرين.

1- السراب الشرقي (le mirage Oriental) للويس برتران " Louis Bertrand "

2- رحلة إيزابيل إيبر هاردت " Isabelle Ederhardt " إلى الصحراء الإفريقية، التي خلدتها في عملها " بلاد الرمال " 1914، حيث تقول: " إني بعيدة عن الحضارة الأوروبية ومهازلها المنافقة، إني وحدي في دار السلام، في الصحراء

---

[68] طه ندا، الأدب المقارن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1987، ص. 32.

[69] سعيد علوش، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي، دراسة مقارنة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1986، ص. 143.

حرة، وفي أحوال صحية جيدة... الوادي البلد الذي لا تعد قبابه... أريد شراء أرض صالحة للزراعة، وأجعل فيها جنانا بها بئر ونخل..."[70] .

لذلك نجد الرحالة وهو يصف ما هو أجنبي عنه قد يعقد مقارنة بينه وبين المكان الذي ينتمي إليه أصلا ".

وهنا نجد إيزابيل إيبر هاردت تفضح عن نوع من التناقض والصراع الذي راح يجول بداخلها، فتقول **" أنا بجسدي في الغرب أقيم.**

ولكن روحي إلى الشرق تتوق.

وقلبي في اسطنبول.

وقلبي في وهران.

ولتعرب في الأخير عن أملها في أن تدفن في إحدى مقابر المسلمين، فتقول: " أتمنى أن أدفن في مقبرة عربية بعد موتي، لأنّ مقبرتنا كئيبة حزينة..."[71] .

ما يمكن أن يقال عن هذه الرحلات فإنّها إيجابية في طرحها للصورة، حيث يتخللها الإعجاب بجمال الشرق وعظمة الصحراء الجزائرية وطيبة أهلها.

ج- **الإستشراق:**

تعود كلمة استشراق " Orientalisme " إلى لفظ كلمة الشرق " Orient " والتي يعود مصدرها للمصطلح اللاتيني " Oriens " الذي يعني " الشروق " أو " الشمس الشارقة" أو " الشرق "، والذي يدل دلالة على كل ما هو غير عربي بمعنى " ربع شمس المغيب "، أو الغروب ، وقد عرف هذا المصطلح انزياحا دلاليا من فضاء جغرافي إلى مكان إيديولوجي وفق نظرة ازدواجية تفرق بين الغرب والشرق: الغرب أرض المسيحية، والشرق أرض الإسلام[72].

وقد ظهر " مصطلح الاستشراق " Orientalisme " في نهاية القرن الثامن عشر، وإن كان الاهتمام بالإسلام والحضارة العربية الإسلامية قد نشأ قبل ذلك بعدّة قرون في إطار الدراسات اللاهوتية، فنشأت بحوث كانت تهدف للتصدي للإسلام،

---

[70] حفناوي بعلي، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2004، ص. 124.

[71] المرجع نفسه، ص. 121.

[72] ينظر: ناجي عويجان، تطور صورة الشرق في الأدب الانجليزي، ترجمة: تالا صباغ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص. 201.

وفيما بعد أسهمت مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية في رفع الدراسات الاستشراقية في الدول الأوروبية كي تنمو، لتشكل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب الأوروبي في سعيه الدؤوب لإخضاع الشعوب المستعمرة، ولذا فإن هذه المنظومة قد لا تعكس حقائق أو وقائع "[73]

الدراسات اللاهوتية قد اهتمت بالديانة الإسلامية في سياق اهتمامها بدراسة الديانات العامة.

وهنا نجد الدراسات الاستشراقية تأخذ بعدا آخر، حيث راحت تخدم مصالح أوروبا خاصة سياساتها الاستعمارية، وهكذا كان أهم ما يعاب على هذه الدراسات خلوها من الموضوعية، والأمانة العلمية في نقل الأحداث والتعبير عنها.

- وتعني الحركة الاستشراقية تلك الموجة من الوافدين الغربيين الذين عنوا بدراسة اللغات والمؤلفات، والتراث الشرقي بصفة عامة، وترجمته إلى لغاتهم، وقد بدأت هذه الحركة تحت غطاء ديني مع توالي أفواج الحجيج المسيحيين الأوروبيين الذين وفدوا إلى الأراضي المقدسة بغية تعلم لغة الكتاب المقدس، لتتطور بشكل بارز مطلع القرن السابع عشر مع مستشرقين وجدوا في الثقافة كنزا للمعرفة[74].

وكثيرا ما تساهم الحروب والحملات العسكرية في تطور حركة الاستشراق.

وهنا نضرب مثال: حملة نابليون بونابرت على مصر سنة (1797 - 1801) التي شكلت حلبة الصراع بين العالمين الشرقي والغربي، وكان لها تأثير كبير على تطور حركة الاستشراق والاهتمام به.

ولذلك فإنّ الصورة التي رسمها المستشرقون للشرق ليست على الشاكلة ذاتها، **" فمن قرأ كتابين أو ثلاثة كتب من كتب الرحالة المتعلقة بالقرن السابع عشر، فكأنه قرأ العشرات منها، حيث تتبلور التمثيلات فيها كنماذج، فمن يبحث عن الصورة النمطية للاستبداد الشرقي يجدها عند مونسكيو، ومن أراد فهم المكانة التي يشغلها الشرق في رؤيتنا إلى التاريخ، فإنّه يقرأ هيغل، ومن أراد أن يستشعر مظاهر تمزق الشرق وترف الشرق، فإنّه يقرأ ماسيونيون"[75].**

---

[73] المرجع السابق، يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص. 215.

[74] ينظر: المرجع السابق، ناجي عويجان، تطور صورة الشرق في الأدب الانجليزي، ص. 31.

[75] 1. تييري هنتش، الشرق الخيالي ورؤية الآخر، صورة الشرق في المخيال الغربي، الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، ترجمة مي عبد الكريم محمود، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2006، ص. 24.

فقد نظر كل مستشرق إلى الشرق من زاوية معينة ذات طبيعة مختلفة، إمّا سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، إلا أنّ زاوية النظر سواء كانت إيجابية أو سلبية فإنّها تقدم نماذج حية عن الصورة التي شكلتها الذهنية الغربية عن الشرق. وهنا نتكلم عن دور الدراسات الاستشراقية في التعريف بالحضارة العربية الإسلامية بل **" أسهم المستشرقون في كتابة دراسات عن التراث العربي الإسلامي، فأخرجوا عشرات المخطوطات واهتموا بالبرديات الغربية، ودرسوا ظهور الإسلام وانتشاره وفلسفته، وترجموا القرآن الكريم، واهتموا بقراءاته، واهتموا بالحديث النبوي، وصنفوا معجما مفهرسا لألفاظه ودرسوا شخصية الرسول عليه السلام، كما قدموا دراسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهلية، واعتنوا بالفلسفة الإسلامية، ودرسوا علوم الحضارة الإسلامية وفنونها، ولغاتها وآدابها"[76].**

لقد عرفت الفترة الحديثة وفود العديد من المستشرقين الغربيين ومن أهم هؤلاء: نذكر على سبيل المثال:

أ- كارل بروكلمان

من مواليد عام 1868 م، وهو مستشرق ألماني غني عن التعريف، صاحب كتابي " تاريخ الأدب العربي " و " تاريخ الشعوب الإسلامية " الذي رأى النور عام 1939 م، ومن كبار المستشرقين الذين عشقوا وولعوا باللغة العربية قراءة وكتابة، " عاش 88 عاما، قضى منها 65 عاما يتحدث العربية، ويكتب بها تاريخ العرب الأدبي، والتاريخ الإسلامي حتى أصبح مرجعا هاما من مراجع العربية وتاريخها الإسلامي وأدبها، عيّن عضوا بمجمع اللغة العربية في دمشق سوريا"[77].

ولذلك **" يعتبر بروكلمان بهذا الذي فعل، واحدا من أئمة المستشرقين الذين أحبوا بكل صدق العرب، فاستحق أن يحبه العرب، ويعتبرونه واحدا منهم رغم بعض الشطحات التي كانت تؤخذ عليه في تأريخه للإسلام الذي تم الرد عليه، ومات بروكلمان عام 1956 "[78].**

ب- زيغريد هونكه: " Sigrid Hunke "

---

[76] المرجع السابق، يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص. 216.

[77] أحمد حامد، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1991، ص. 98.

[78] المرجع نفسه، أحمد حامد، ص. 99.

مستشرقة وكاتبة ألمانية واسعة الشهرة، لها شهرة عند العرب لإنصافها لهم في قضاياهم فقد عرفت بحبها للعرب ودفاعها عن قضاياهم.

" زوجة المستشرق الألماني الدكتور سولتز عاشق العرب وآدابهم وفنونهم، حبها لدراسة الأديان، جعلها تدرس الإسلام دراسة واعية متأنية، مما جعلها تقدم بحثا موسوعيا عن الإسلام، وامتداد أثره على العالم، وذلك في دراستها " شمس العرب تشرق على الغرب " استطاعت أن تعطي من خلال حبها للإسلام، فرصة ليعرفه الأوروبيون من خلالها "[79].

قامت بعدد من الزيارات للعديد من البلدان العربية، ومنها مدينة مراكش المغربية التي استقرت فيها مدة عامين، وقد تناولت في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة برلين موضوع " أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية "، وتناولت في مؤلفها الصادر عام 1955 م بعنوان " الرجل والمرأة " فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة والإنسانية بصفة عامة.

يتلهف العرب والمسلمون على الدراسات والأبحاث " زيغريد هونكه " التي مازالت تقول عن الإنسان الكثير. ولم تستطع أن تخفي إعجابها برسول الإسلام، الذي استطاع أن يعطي للمجتمع صورة جديدة برسالته[80].

ج- إتيان (نصر الدين) دينيه: " Etienne Dinet "

مستشرق ورسام فرنسي، كان يحب " المغامرة في مجاهل الصحراء للفوز بشيء من الدفء تهفوا إليه نفوس الأوروبيون وهي الروئية التي شكلت بواكيرها مع تبلور ملامح المركزية بعد شروع مغامري أوروبا في حملات الاستكشاف للآفاق ما خارج القارة العجوز "[81].

---

[79] المرجع السابق، أحمد حامد، ص. 108.

[80] المرجع نفسه، ص. 108، بتصرف.

[81] محمد عبد الكريم أوزغله، مقامات النور، ملامح جزائرية في التشكيل العالمي، دار الأوراس، الجزائر، 2007، ص. 41-42.

عشق إتيان **مدينة بوسعادة**[82] الصحراوية التي قصدها مع بعثته للبحث عن نوع نادر من الفراشات، يقول: **" للفراشة الصغيرة لك الفضل الأكبر في تغيير مجرى حياتي، وقد كان قدري بعدها أن أصير فنانا استشراقيا "[83]**

لذلك نجد أنّ هذه الحادثة خلفت انطباعا في ذاكرة الفنان دينيه، وهنا يقول عنه المفكر مصطفى الأشرف[84]**: **" لم يكن إتيان ديني مجرد مغرم بالغرائبية، وكلف بها مثلما هو شأن أبناء جيله من المثقفين الغربيين، إذ كان ينتسب فضلا على ذلك لعائلة فرنسية عريقة،**

ويعد ضمن معارف الشخصية، إلى جانب أصحاب المقامات العليا في بلده الأصلي فرنسا، رئيس الجمهورية ألكسندر ميرون، فلقد كان منذ بدايات القرن الماضي يزور الجزائر دوريا "[85].

إنّ هذا الهيام بسحر وجمال بوسعادة، جعل الفنان دينيه يعتنق عادات ودين أهلها. إذ سرعان ما استبدل اسم الفرنسي " إتيان " باسم عربي إسلامي هو " نصر الدين "، وقد أسلم سنة **1913 م.**

" والواضح أنّ هذا الفنان بعد اكتشافه للصحراء الجزائرية أعجب بها أيما إعجاب فأحبها، بل كان يجد في مظاهر حياة أهلها وأساليبهم البسيطة وزهدهم فيها وعلاقاتهم الوثيقة فيما بينهم وفي النظام الاجتماعي الذي ينسجها نسيجا وثيقا فلما تجد له مثيلا في بقع أخرى من العالم، خاصة في أوروبا نهاية القرن التاسع عشر حيث طفق نمط الحياة يفكك نسيجها الاجتماعي، فلم يعد ذلك سوى ذكرى أو أمل يجد ترجمته في الأعمال الفنية أو الأدبية التي تضج بالحنين إلى الماضي أو تتطلع إلى آفاق أخرى يمكن فيها الحلم بالفردوس المفقود- يجد- فيها جوهر طموحه المحفوف

عن واحات، تتبع إقليما إداريا إلى تراب ولاية المسيلة، ينظر: عاشور 82 مدينة تقع جنوبي شرق الجزائر العاصمة على بعد 240 كلم، على مداخل ومشارق مدينة بسكرة، عبارة شرقي، معلمة الجزائر (القاموس الموسوعي)، ترجمة: مجموعة من المؤلفين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص. 365.

[83] المرجع نفسه، محمد عبد الكريم أوزغلة، ص. 42.

[84] ** مصطفى الأشرف، مفكر جزائري، ومثقف متمذهب، منظر جبهة التحرير الوطني الفكرية، ساهم فيتحرير برنامج طرابلس، ثم الميثاق الوطني، كرس فكره وكتاباته للاستعادة الهوية الجزائرية.

ينظر: مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسي. دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص الأخيرة (الغلاف).

[85] المرجع السابق، محمد عبد الكريم أوزغلة، ص. 39.

بالغموض في بدايات اتصاله وتفاعله معهم، وأحلامه وتطلعاته الإنسانية والروحية والفنية "[86].

لقد ترك تراثا زاخرا فقد **" كتب دينيه بغزارة نادرة اختلفت فيها موضوعات كتاباته بين أولا: الرواية والقصة التي قام بتمثيل صورها بنفسه، وثانيا مواضيع نقدية في الفن التشكيلي بالإسلام وقيمه وأعلامه، ومن أهم مؤلفاته نذكر:** " أشعار عنترة، أشعار ورسومات "،

و " ربيع القلوب"، و " لعبة الأضواء " و " آفاق الفن التشكيلي "، و " سراب "، و " نظرة "الغرب للشرق "، و " الصحراء "، و " لوحات من الحياة العربية " و " سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) والحج إلى بيت الله الحرام الذي صدر بعد وفاته ".[87]

د- أ _ ف _ جوتيه: **A_ F _ Gautier**

مستشرق ورحالة فرنسي، ولد عام 1864 م، " عمل أستاذا بكلية الآداب بالجزائر، عشق العرب ولغتهم وتعايش بها وقد استطاع أن يقرأ العربية، ويدرس بها ويقدم دراساته في الأدب العربي، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ المدن المقدسة في الجزيرة العربية "[88].

لذلك نجد أن حياة جوتيه كانت حافلة بالعطاء والانجازات وقد ساهم في تقديم العديد من الدراسات عن الإسلام في شمال إفريقيا، وأخلاق المسلمين وعاداتهم، ونجد أن جامعة الجزائر قد كرمته في حياته.

لقد قدمت مؤلفاته في " شمال إفريقيا "، في طباعة جيدة، وأضافت إلى المكتبة العربية مرجعا هاما في كتابة أخلاق المسلمين وعاداتهم، ونجده يقول: **" لم أجد دينا لم يدعوا معتنقيه إلى تسامح السماء، بكل ما تحمل كلمة تسامح من معاني سامية، إلا ما رأيت وأحسست، وعايشت الدين الإسلامي "[89].**

ه- لويس أراغون: **" Louis Aragon "**

---

[86] المرجع السابق، محمد عبد الكريم أوزغلة، ص. 44.

[87] المرجع نفسه، ص. 56.

[88] المرجع السابق، أحمد حامد، ص. 65.

[89] المرجع نفسه، ص. 65، 66.

شاعر ومستشرق ورحالة فرنسي، عمل في صفوف الجيش الفرنسي كطبيب مساعد سنة 1917 م، واضعا بذلك حدا لدراسته في ميدان الطب، تقلب بين العديد من المذاهب

والتيارات الدينية والفلسفية، بدأ من انتقاله من الدادئية * إلى السريالية**.[90]

لذلك نجده يناضل ضد كل ما يشوه إنسانية الإنسان ومنها الحروب، ف: **" حينما دقت طبول الحرب بالمغرب أو ما يدعى " La guerre du Moroc " أعلن مع رفقائه السرياليين موقفه الجريء منها. لقد قرر " أراغون " أن يلقي عن كاهله أعباء تلك الثقافة البرجوازية، إذ ناشد ذلك الشرق الأسطوري مقابل ذلك الغرب الإنساني، وبتاريخ 01 أكتوبر 1927 م ، كتب مقاله: " La philosophie des Paratonnerres " مناهضا ذلك الغرب"[91].**

كان كثير التساؤل والجدال، ونجده يحاور أصحاب الفكر الماركسي***، ليعلن بعد ذلك قطيعته مع السرياليين **(1932) و" على الرغم من تحولاته الفكرية، فإنّه لم يتخل عن مواقفه، وعن مبادئه تجاه قضايا الإنسان العادلة، فمن نضاله الإنساني، وعى أحداث الثورة الجزائرية ودافع عنها ووعى أيضا نقصه الفادح تجاه الحضارة العربية**

---

[90] * الدادئية -Dadaisme : مذهب في الفن والأدب نشط سنوات معدودة بعد عام 1917 في سويس[90] وفرنسا وتتميز بالتأكيد على حرية الشكل تخلصا من القيود التقليدية، ونادى بفك أسرار الكلمة من العبودية المعنى بحيث لا يبقى منها سوى قيمتها كموضوع شعري، وقد وقد اختيرت لفظة " داد " رمزا للمذهب، وهي كلمة فارغة من المعنى في ذاتها. أنظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ص ب 1085، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، آذار، مارس، 1979.

* *السريالية - Surréalisme: لفظة بدأ استعمالها عام 1917 وشاعت في بيئات الأدباء الذين يقومون بتحرير الشعر من المنطق والأغراض الجمالية والأخلاقية ليعبر عن حركة فكرية أصيلة تغوص أحيانا في اللاشعور وقد شاعت من بعد، وطبقت مفاهيمها على عدد من الفنون لاسيما الرسم من أعلامها، بريفير في الشعر وبريتون في الرواية وعكس أرنست وبيكاسو في الرسم ولويس بونيل في السنيما،

أنظر: جبور عبد النور المعجم الأدبي، ص. 139.

* * * النظرية الماركسية - Marxism: تعتبر من أهم النظريات الأدبية وهي نظرية يقوم عليها علم الاجتماع الجدلي (يدرس الصراع بين الطبقات وتتصدى على مستوى الأدب إلى تحديد ماهيته ووظيفته في تغيير المحتمع، ينظر: محمد شبل الكومي في كتابه المذاهب النقدية الحديثة، مدخل فلسفي، ص. 194 - 197.

[91] فاطمة بلهوادية، تأثير مجنون ليلى في مجنون ألسا، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف: شريفي عبد الواحد وخليل نصر الدين، جامعة وهران، السانية، 2003 - 2004، ص. 01.

الإسلامية، وسعى إلى تدارك ذلك النقص عبر الكتابة في حوار له مع " فرنسيس كريميو " Francis Crémieux أشار إلى ذلك الدافع الإنساني، وهو الثورة الجزائرية الذي قاده إلى روح العالم الإنساني"[92].

فقد كانت أحداث الجزائر هي التي قادته إلى اسبانيا، اسبانيا بالضبط كانت بوابته إلى العالم الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية، لقد ذهب إلى مساءلة التاريخ لسد ذلك النقص المعرفي والثقافي الذي كان يعانيه اتجاه هذه الحضارة... تواصله عبر الكتابة وإعجابه بالأندلس وما عرفته تلك الحضارة من تجانس الأجناس وانصهارها في بوثقة واحدة (من عرب بربر، قوط، يهود، غجر...)، من طقوس وعادات وتقاليد وثقافة وشعر، كل ما احتوته الأندلس من نماذج سكاني وثقافي وديني قاده إلى أن يؤلف مجموعته الرائعة (Le Foud elsa) الترجمة الشبه كاملة: لـ " مجنون ليلى "[93]، التي كان واضحا فيها تأثره الشديد بالثقافة والحضارة العربية الإسلامية، " كان تأثير المجاز الشعري الفرنسي والعربي تأثيرا كبيرا في الأدب الغربي، ومن الأمثلة الحديثة مثال (أراغون) الذي استوحى " مجنون إيلزا " من جنون الحب لدى (المجنون) عاشق (ليلى)، والذي فناه فيما سلف شعراء فارس من أمثال (نظامي) و (الجامي) "[94].

إن هؤلاء المستشرقين وغيرهم قد اهتموا كثيرا بالحضارة الإسلامية والأدب العربي، ومنهم من اهتم بما هو عربي في أبعاده المختلفة، الجغرافية والاجتماعية والثقافية متخذة أشكالا عدّة، كالأنتروبولوجيا وعلم النفس، والأنثولوجية وغيرها، ومنهم من انحرف بدراسة الشرق وأعجب بها بعد أن زارها واحتك بها مباشرة فتعرض للتخوين من بني جلدته وقومه، وهناك من اكتشف الشرق عن طريق قصص الغرب الخالدة في تراثهم، وأعاد قراءتها من وجهة نظر خاصة.

3: منهجية البحث في حقل الصورائية.

إذا كان هذا الأنا أو الآخر بلدا فإنّ دراسته ستأخذ وجهتين، بلد ما كما يصوره أدب آخر، وبلد ما كما يصوره مؤلف من أمة أخرى.

---

[92] المرجع السابق، ص. 02 - 03.

[93] المرجع السابق، فاطمة بلهوادية، تأثير مجنون ليلى في مجنون ألسا، ص. 40.

[94] روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط 5، 2003، ص. 143.

وبغض النظر عن وجهة الدراسة المقارنة في هذا الحقل، فإنها تهتم **" بدراسة صورة كاملة عن أمة من الأمم في مؤلفات كاتب واحد ينتمي إلى أمة مختلفة، أو تسعى إلى إبراز الصورة نفسها في أدب بأكمله، مثل دراسة بيير مارتينو-Pierre Martino [*] حول 1906 L'orient dans la littérature Française، الشرق في الأدب الفرنسي"[95]**

[95] صغور أحلام، واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: شريفي عبد الواحد، جامعة وهران، 2008-2009، ص. 178.

ولذلك يعد المترجم مفسرا لما يجعل منه ناقدا، وعليه ف " إنّ إعادة الكتابة عنده هي عمل التفسير، وإعادة التفسير، وهو بدوره سيثير أحكام الجمهور على الترجمة، والنص الأصلي دون شك، وعلى الصورة الأدبية والجمالية، وحتى الأخلاقية للأدب والثقافة الذين جاء
منهما هذا النص (الثقافة - المصدر) بصورة أو بأخرى يحتفظ النص المترجم ببعض السمات الأجنبية، وإذا حاول أن يذوب في النتاج الأدبي للبلد المترجم، أو في (الثقافة، المستقبلة) فإنّه سيكون دائما إلى حد ما أدبا وفي النطاق الذي لا يستطيع فيه (الأدب المترجم) أن يمحي بصورة كاملة، أصله الأجنبي فإنه يثير قراءات ليست فقط ذات قيمة جمالية، إنّ دراسة هذه القراءات لا تؤدي إلى وعي الطبيعة الخاصة لبعض الاتصالات الأدبية[95].

ولذلك فإنّ الترجمة على الرغم من كونها وسيطا جيدا في مد جسور التعارف بين الأمم، إلا أنّها **" لا قيمة لها إذا لم تكن نقية، وأمينة جدا، وعلى الباحث المقارن أن يلاحظ إذا ما كانت الترجمة كاملة أو ناقصة، لأن سقوط بعض الترجمات يسقط بعض أثر الكتاب "[95].**

ولهذا لابد من الإشارة إلى أنّه **" لا يضطلع بعبء الترجمة إلا من رسخت قدمه في لغته، وعرف لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية، واستطاع أن يغذي أدبه بأدب غيره، وأدب غيره بأدبه، ولا يكون عمله مجديا إلا إذا كان النقل يحافظ على روح النموذج المنقول وتستطاب مطالعته في الترجمة، وتبحث على المزيد من المعرفة "[95].**

ولذلك نجد أنّ الترجمة لا تتعلق بنص أصلي بل هناك استثناء ف **"عندما نتكلم اليوم عن الترجمة، فإننا نعني ترجمة نص معين إلى لغة ثانية ترجمة تامّة وافية بقدر الإمكان، ويجب أن تكون الترجمات التي لعبت دورا هاما في المبادلات الأدبية مطابقة لهذا التعريف، إلا أنّ كثيرا من الترجمات لم تتناول النص الأصلي، وإنّما اعتمدت ترجمة أخرى في لغة أخرى، إنّها ترجمة الترجمات شأن شكسبير الذي لم يعرف المجر، وبلاد صرب مدة طويلة، إلاّ عن طريق الترجمات الجزئية لبعض الترجمات الألمانية"[95].**

الترجمة بقدر ما تبتعد عن النص الأصلي بقدر ما تتحرى عن الأمانة والكمال، ففي كل مرّة يترجم فيها النص إلاّ ويفقد بعضا من عناصره الفنية، والإيديولوجية بغض النظر عما يبذله المترجم من جهد للحفاظ على الأصل.

وبفضل الترجمة كانت الكتب " **تنتقل من أمة إلى أمة، وتمكن بعضها من عبور القارات، مما سهل عملية نقل الثقافات، ولعلى كتاب " ألف ليلة وليلة " أشهر هذه الكتب التي تخطت الحدود، وبدّلت في الآفاق "[95].**

ولذلك فإنّ الترجمة ساهمت إلى حد كبير في تعريف الشعوب ببعضها البعض، ونجدها قد فتحت قنوات جيدة للاتصال والحوار فيما بينها.

ب- الرحلة:

الرحلة هي انتقالا وترحالا من موطن للآخر، بالإضافة إلى المغامرة والمخاطرة ومرور بتجارب وتعتمد على المشاهد في التعريف، وكذلك ثقافة الآخر.

" فقد كان للأدباء الرحالة إسهام في تشكيل صورة (image) أمة في أدب أمة أخرى من خلال رصدهم لطبيعة العلاقات التي تسود بين الأمم والشعوب، سواء كانت هذه الصورة إيجابية أو سلبية تبعا للحالة والعلاقة القائمة بينهم، فإذا كانت هذه العلاقة تشوبها حالة من العداء، كانت النظرة أو الصورة سلبية، وإن كانت العلاقة تكتنفها حالة من الإعجاب والانبهار كانت الصورة إيجابية مشرفة، يجري بناؤها من عناصر متباينة تمثل في مجموعها الحالة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي صدر عنها ذلك التصور"[95].

والرحلة إذا كانت اختيارية أم اضطرارية فإنّها كثيرا ما تلعب الدور ذاته بالقياس إلى ما يترتب عنها من نتائج، لذلك **" قد يساعد الأجانب المرغمون على الإقامة في بلد معين، أو على الأقل الذين تأقلموا نتيجة إقامتهم الطويلة فيه، على إطلاع ذاك البلد إلى حد ما على آداب بلادهم الأصلية "[95].**

لذلك تبقى الرحلة تلك الممارسة المفيدة لما تفتحه من آفاق للاتصال والتفاهم بين الشعوب، قد لا يحققها الإطلاع على الكتب، أو حتى دراستها والتنقيب فيها: حيث **" تساعد هذه الرحلات على إدراك المزاج الشخصي لشعب من الشعوب، والعادات والميول التي تتحكم في تفكيره واتجاهاته، فتجعل فنا من فنون الأدب يروج عنده، ولا يروج عند غيره من الشعوب، ومؤرخوا الأدب يهتمون عادة بالأعلام من الأدباء والذائع، المعروف من الآثار الأدبية، ولكن هناك من الأدباء نوابغ مغمورين، ومن الأعمال الأدبية ثروات مدفونة لم يقدر لها أن تطفوا على السطح، والرحالة هم الذين**

يستطيعون أن يصلوا إلى هؤلاء الأدباء، وهذه الثروات الأدبية، ولهذا يزودون الدراسة بكل جديد "[95].

فالرحلة هي قناة إستراتيجية للتعرف عن شعب ما سواء ما تعلق بخصوصياته المادية من عادات وسلوكات، أو ما تعلق بخصوصياته المادية من عادات وسلوكات، أو ما تعلق بالجانب المعنوي كالميول، وطرق التفكير، ولذلك نجدها تفتح باب المعرفة، وتحرك الفضول للاكتشاف المجهول كخطوة مهمة في سبيل البحث الجاد.

وإذا كانت الرحلة من توقيع أديب ما، أو كانت على قدر ما من الأدبية، فإنّها تصبح **" نوعا أدبيا يفسح المجال لترسيخ تقاليد الموازنة بين عالمين وقيمتين، وصورتين، حتى في الحالات التي يقتصر فيها الراحل على مجرد وصف العالم الجديد، لأنّ هذا الوصف يخضع عن وعي أو لا وعي لمنظور وثقافة الواصف الذي يعمل على تحويل لغوي، ومفهومي للمنظورات "[95].**

فالرحالة مهما حاول لا يمكنه أن يعطي صورة حقيقة عن الآخر، حتما أنّ الصورة ستنحرف عن واقعيتها، لأنّه لا يراعي فيها الموضوعية بل يراعي المتلقي، وطبيعته السيكولوجية والسوسيولوجية.

وهنا نضرب المثل عن بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا الشرق والجزائر خاصة في القرن العشرين.

1- السراب الشرقي (le mirage Oriental) للويس برتران " Louis Bertrand "

2- رحلة إيزابيل إيبر هاردت " Isabelle Ederhardt " إلى الصحراء الإفريقية، التي خلدتها في عملها " بلاد الرمال " 1914، حيث تقول: " إني بعيدة عن الحضارة الأوروبية ومهازلها المنافقة، إني وحدي في دار السلام، في الصحراء حرة، وفي أحوال صحية جيدة... الوادي البلد الذي لا تعد قبابه... أريد شراء أرض صالحة للزراعة، وأجعل فيها جنانا بها بئر ونخل..."[95] .

لذلك نجد الرحالة وهو يصف ما هو أجنبي عنه قد يعقد مقارنة بينه وبين المكان الذي ينتمي إليه أصلا ".

وهنا نجد إيزابيل إيبر هاردت تفضح عن نوع من التناقض والصراع الذي راح يجول بداخلها، فتقول

" أنا بجسدي في الغرب أقيم.

ولكن روحي إلى الشرق تتوق.

وقلبي في اسطنبول.

وقلبي في وهران.

ولتعرب في الأخير عن أملها في أن تدفن في إحدى مقابر المسلمين، فتقول: " أتمنى أن أدفن في مقبرة عربية بعد موتي، لأنّ مقبرتنا كئيبة حزينة..."[95] .

ما يمكن أن يقال عن هذه الرحلات فإنّها إيجابية في طرحها للصورة، حيث يتخللها الإعجاب بجمال الشرق وعظمة الصحراء الجزائرية وطيبة أهلها.

ج- **الإستشراق:**

تعود كلمة استشراق " Orientalisme " إلى لفظ كلمة الشرق " Orient " والتي يعود مصدرها للمصطلح اللاتيني " Oriens " الذي يعني " الشروق " أو " الشمس الشارقة" أو " الشرق "، والذي يدل دلالة على كل ما هو غير عربي بمعنى " ربع شمس المغيب "، أو الغروب ، وقد عرف هذا المصطلح انزياحا دلاليا من فضاء جغرافي إلى مكان إيديولوجي وفق نظرة ازدواجية تفرق بين الغرب والشرق: الغرب أرض المسيحية، والشرق أرض الإسلام[95].

وقد ظهر " مصطلح الاستشراق " Orientalisme " في نهاية القرن الثامن عشر، وإن كان الاهتمام بالإسلام والحضارة العربية الإسلامية قد نشأ قبل ذلك بعدّة قرون في إطار الدراسات اللاهوتية، فنشأت بحوث كانت تهدف للتصدي للإسلام، وفيما بعد أسهمت مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية في رفع الدراسات الاستشراقية في الدول الأوروبية كي تنمو، لتشكل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب الأوروبي في سعيه الدؤوب لإخضاع الشعوب المستعمرة، ولذا فإن هذه المنظومة قد لا تعكس حقائق أو وقائع "[95]

الدراسات اللاهوتية قد اهتمت بالديانة الإسلامية في سياق اهتمامها بدراسة الديانات العامة.

وهنا نجد الدراسات الاستشراقية تأخذ بعدا آخر، حيث راحت تخدم مصالح أوروبا خاصة سياساتها الاستعمارية، وهكذا كان أهم ما يعاب على هذه الدراسات خلوها من الموضوعية، والأمانة العلمية في نقل الأحداث والتعبير عنها.

- وتعني الحركة الاستشراقية تلك الموجة من الوافدين الغربيين الذين عنوا بدراسة اللغات والمؤلفات، والتراث الشرقي بصفة عامة، وترجمته إلى لغاتهم، وقد بدأت هذه الحركة تحت غطاء ديني مع توالي أفواج الحجيج المسيحيين الأوروبيين الذين وفدوا إلى الأراضي المقدسة بغية تعلم لغة الكتاب المقدس، لتتطور بشكل بارز مطلع القرن السابع عشر مع مستشرقين وجدوا في الثقافة كنزا للمعرفة[95].

وكثيرا ما تساهم الحروب والحملات العسكرية في تطور حركة الاستشراق.

وهنا نضرب مثال: حملة نابليون بونابرت على مصر سنة (1797 - 1801) التي شكلت حلبة الصراع بين العالمين الشرقي والغربي، وكان لها تأثير كبير على تطور حركة الاستشراق والاهتمام به.

ولذلك فإنّ الصورة التي رسمها المستشرقون للشرق ليست على الشاكلة ذاتها، **" فمن قرأ كتابين أو ثلاثة كتب من كتب الرحالة المتعلقة بالقرن السابع عشر، فكأنه قرأ العشرات منها، حيث تتبلور التمثيلات فيها كنماذج، فمن يبحث عن الصورة النمطية للاستبداد الشرقي يجدها عند مونسكيو، ومن أراد فهم المكانة التي يشغلها الشرق في رؤيتنا إلى التاريخ، فإنّه يقرأ هيغل، ومن أراد أن يستشعر مظاهر تمزق الشرق وترف الشرق، فإنّه يقرأ ماسيونيون"[95].**

فقد نظر كل مستشرق إلى الشرق من زاوية معينة ذات طبيعة مختلفة، إمّا سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، إلا أنّ زاوية النظر سواء كانت إيجابية أو سلبية فإنّها تقدم نماذج حية عن الصورة التي شكلتها الذهنية الغربية عن الشرق. وهنا نتكلم عن دور الدراسات الاستشراقية في التعريف بالحضارة العربية الإسلامية بل **" أسهم المستشرقون في كتابة دراسات عن التراث العربي الإسلامي، فأخرجوا عشرات المخطوطات واهتموا بالبرديات الغربية، ودرسوا ظهور الإسلام وانتشاره وفلسفته، وترجموا القرآن الكريم، واهتموا بقراءاته، واهتموا بالحديث النبوي، وصنفوا معجما مفهرسا لألفاظه ودرسوا شخصية الرسول عليه السلام، كما قدموا دراسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهلية، واعتنوا بالفلسفة الإسلامية، ودرسوا علوم الحضارة الإسلامية وفنونها، ولغاتها وآدابها"[95].**

لقد عرفت الفترة الحديثة وفود العديد من المستشرقين الغربيين ومن أهم هؤلاء: نذكر على سبيل المثال:

أ- كارل بروكلمان

من مواليد عام 1868 م، وهو مستشرق ألماني غني عن التعريف، صاحب كتابي " تاريخ الأدب العربي " و " تاريخ الشعوب الإسلامية " الذي رأى النور عام 1939 م، ومن كبار المستشرقين الذين عشقوا وولعوا باللغة العربية قراءة وكتابة، " عاش 88 عاما، قضى منها 65 عاما يتحدث العربية، ويكتب بها تاريخ العرب الأدبي، والتاريخ الإسلامي حتى أصبح مرجعا هاما من مراجع العربية وتاريخها الإسلامي وأدبها، عيّن عضوا بمجمع اللغة العربية في دمشق سوريا"[95].

ولذلك **" يعتبر بروكلمان بهذا الذي فعل، واحدا من أئمة المستشرقين الذين أحبوا بكل صدق العرب، فاستحق أن يحبه العرب، ويعتبرونه واحدا منهم رغم بعض الشطحات التي كانت تؤخذ عليه في تأريخه للإسلام الذي تم الرد عليه، ومات بروكلمان عام 1956 "**[95].

ب- زيغريد هونكه: " Sigrid Hunke "

مستشرقة وكاتبة ألمانية واسعة الشهرة، لها شهرة عند العرب لإنصافها لهم في قضاياهم فقد عرفت بحبها للعرب ودفاعها عن قضاياهم.

" زوجة المستشرق الألماني الدكتور سولتز عاشق العرب وآدابهم وفنونهم، حبها لدراسة الأديان، جعلها تدرس الإسلام دراسة واعية متأنية، مما جعلها تقدم بحثا موسوعيا عن الإسلام، وامتداد أثره على العالم، وذلك في دراستها " شمس العرب تشرق على الغرب " استطاعت أن تعطي من خلال حبها للإسلام، فرصة ليعرفه الأوروبيون من خلالها "[95].

قامت بعدد من الزيارات للعديد من البلدان العربية، ومنها مدينة مراكش المغربية التي استقرت فيها مدة عامين، وقد تناولت في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة برلين موضوع " أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية "، وتناولت في مؤلفها الصادر عام 1955 م بعنوان " الرجل والمرأة " فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة والإنسانية بصفة عامة.

يتلهف العرب والمسلمون على الدراسات والأبحاث " زيغريد هونكه " التي مازالت تقول عن الإنسان الكثير. ولم تستطع أن تخفي إعجابها برسول الإسلام، الذي استطاع أن يعطي للمجتمع صورة جديدة برسالته[95].

ج- **إتيان (نصر الدين) دينيه: " Etienne Dinet "**

مستشرق ورسام فرنسي، كان يحب " المغامرة في مجاهل الصحراء للفوز بشيء من الدفء تهفوا إليه نفوس الأوروبيون وهي الرؤية التي شكلت بواكيرها مع تبلور ملامح المركزية بعد شروع مغامري أوروبا في حملات الاستكشاف للآفاق ما خارج القارة العجوز "[95].

عشق إتيان **مدينة بوسعادة**[95] الصحراوية التي قصدها مع بعثته للبحث عن نوع نادر من الفراشات، يقول: **" للفراشة الصغيرة لك الفضل الأكبر في تغيير مجرى حياتي، وقد كان قدري بعدها أن أصير فنانا استشراقيا "**[95]

لذلك نجد أنّ هذه الحادثة خلفت انطباعا في ذاكرة الفنان دينيه، وهنا يقول عنه المفكر مصطفى الأشرف[95**]: **" لم يكن إتيان ديني مجرد مغرم بالغرائبية، وكلف بها مثلما هو شأن أبناء جيله من المثقفين الغربيين، إذ كان ينتسب فضلا على ذلك لعائلة فرنسية عريقة،**

ويعد ضمن معارف الشخصية، إلى جانب أصحاب المقامات العليا في بلده الأصلي فرنسا، رئيس الجمهورية ألكسندر ميرون، فلقد كان منذ بدايات القرن الماضي يزور الجزائر دوريا "[95].

إنّ هذا الهيام بسحر وجمال بوسعادة، جعل الفنان دينيه يعتنق عادات ودين أهلها. إذ سرعان ما استبدل اسم الفرنسي " إتيان " باسم عربي إسلامي هو " نصر الدين "، وقد أسلم سنة **1913** م.

" والواضح أنّ هذا الفنان بعد اكتشافه للصحراء الجزائرية أعجب بها أيما إعجاب فأحبها، بل كان يجد في مظاهر حياة أهلها وأساليبهم البسيطة وزهدهم فيها وعلاقاتهم الوثيقة فيما بينهم وفي النظام الاجتماعي الذي ينسجها نسيجا وثيقا فلما تجد له مثيلا في بقع أخرى من العالم، خاصة في أوروبا نهاية القرن التاسع عشر حيث طفق نمط الحياة يفكك نسيجها الاجتماعي، فلم يعد ذلك سوى ذكرى أو أمل يجد ترجمته في الأعمال الفنية أو الأدبية التي تضج بالحنين إلى الماضي أو تتطلع إلى آفاق أخرى يمكن فيها الحلم بالفردوس المفقود- يجد- فيها جوهر طموحه المحفوف بالغموض في بدايات اتصاله وتفاعله معهم، وأحلامه وتطلعاته الإنسانية والروحية والفنية "[95].

لقد ترك تراثا زاخرا فقد **" كتب دينيه بغزارة نادرة اختلفت فيها موضوعات كتاباته بين أولا: الرواية والقصة التي قام بتمثيل صورها بنفسه، وثانيا مواضيع نقدية في الفن التشكيلي بالإسلام وقيمه وأعلامه، ومن أهم مؤلفاته نذكر:** " أشعار عنترة، أشعار ورسومات "، و " ربيع القلوب"، و " لعبة الأضواء " و " آفاق الفن التشكيلي "، و " سراب "، و " نظرة "الغرب للشرق "، و " الصحراء "، و " لوحات من الحياة العربية " و " سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) والحج إلى بيت الله الحرام الذي صدر بعد وفاته ".[95]

د- **أ _ ف _ جوتيه: A_ F _ Gautier**

مستشرق ورحالة فرنسي، ولد عام 1864 م، " عمل أستاذا بكلية الآداب بالجزائر، عشق العرب ولغتهم وتعايش بها وقد استطاع أن يقرأ العربية، ويدرس بها ويقدم دراساته في الأدب العربي، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ المدن المقدسة في الجزيرة العربية "[95].

لذلك نجد أن حياة جوتيه كانت حافلة بالعطاء والانجازات وقد ساهم في تقديم العديد من الدراسات عن الإسلام في شمال إفريقيا، وأخلاق المسلمين وعاداتهم، ونجد أن جامعة الجزائر قد كرمته في حياته.

لقد قدمت مؤلفاته في " شمال إفريقيا "، في طباعة جيدة، وأضافت إلى المكتبة العربية مرجعا هاما في كتابة أخلاق المسلمين وعاداتهم، ونجده يقول: **" لم أجد دينا لم يدعوا معتنقيه إلى تسامح السماء، بكل ما تحمل كلمة تسامح من معاني سامية، إلا ما رأيت وأحسست، وعايشت الدين الإسلامي "[95].**

هـ- لويس أراغون: " Louis Aragon "

شاعر ومستشرق ورحالة فرنسي، عمل في صفوف الجيش الفرنسي كطبيب مساعد سنة 1917 م، واضعا بذلك حدا لدراسته في ميدان الطب، تقلب بين العديد من المذاهب والتيارات الدينية والفلسفية، بدأ من انتقاله من الدادئية * إلى السريالية**.[95]

لذلك نجده يناضل ضد كل ما يشوه إنسانية الإنسان ومنها الحروب، ف: **" حينما دقت طبول الحرب بالمغرب أو ما يدعى " La guerre du Moroc " أعلن مع رفقائه السرياليين موقفه الجريء منها. لقد قرر " أراغون " أن يلقي عن كاهله أعباء تلك الثقافة البرجوازية، إذ ناشد ذلك الشرق الأسطوري مقابل ذلك الغرب الإنساني، وبتاريخ 01 أكتوبر 1927 م ، كتب مقاله: " La philosophie des Paratonnerres " مناهضا ذلك الغرب".[95]**

كان كثير التساؤل والجدال، ونجده يحاور أصحاب الفكر الماركسي***، ليعلن بعد ذلك قطيعته مع السرياليين **(1932) و" على الرغم من تحولاته الفكرية، فإنّه لم يتخل عن مواقفه، وعن مبادئه تجاه قضايا الإنسان العادلة، فمن نضاله الإنساني، وعى أحداث الثورة الجزائرية ودافع عنها ووعى أيضا نقصه الفادح تجاه الحضارة العربية الإسلامية، وسعى إلى تدارك ذلك النقص عبر الكتابة في حوار له مع " فرنسيس كريميو " Francis Crémieux أشار إلى ذلك الدافع الإنساني، وهو الثورة الجزائرية الذي قاده إلى روح العالم الإنساني".[95]**

فقد كانت أحداث الجزائر هي التي قادته إلى اسبانيا، اسبانيا بالضبط كانت بوابته إلى العالم الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية، لقد ذهب إلى مساءلة التاريخ لسد ذلك النقص المعرفي والثقافي الذي كان يعانيه اتجاه هذه الحضارة... تواصله عبر الكتابة وإعجابه بالأندلس وما عرفته تلك الحضارة من تجانس الأجناس وانصهارها في بوثقة واحدة (من عرب بربر، قوط، يهود، غجر...)، من طقوس وعادات وتقاليد وثقافة وشعر، كل ما احتوته الأندلس من نماذج سكاني وثقافي وديني قاده إلى أن يؤلف مجموعته الرائعة (Le Foud elsa) الترجمة الشبه كاملة: لـ " مجنون ليلى "[95]، التي كان واضحا فيها تأثره الشديد بالثقافة والحضارة العربية الإسلامية، " كان تأثير المجاز الشعري الفرنسي والعربي تأثيرا كبيرا في الأدب الغربي، ومن الأمثلة الحديثة مثال (أراغون) الذي استوحى " مجنون إيلزا " من جنون الحب لدى (المجنون) عاشق (ليلى)، والذي فناه فيما سلف شعراء فارس من أمثال (نظامي) و (الجامي) ".[95]

إن هؤلاء المستشرقين وغيرهم قد اهتموا كثيرا بالحضارة الإسلامية والأدب العربي، ومنهم من اهتم بما هو عربي في أبعاده المختلفة، الجغرافية والاجتماعية والثقافية متخذة أشكالا عدّة،

من خلال دراسة الصورة ورصدها لجميع أبعادها الثقافية، والاجتماعية والسياسية والدينية والفنية وغيرها، ولهذا تصبح رؤية الدارس أكثر وضوحا واكتمالا.
إذا كانت الدراسة المقارنة تفترض منهجية محددة في تحليل الظاهرة الأدبية. **" وهنا تتحدد منهجية البحث في هذا الحقل في تفكيك الصورة إلى عناصرها المكونة لها، من أجل الوقوف على لحظة " ولادة " أو تشكل الصورة شعب ما في ذهنية شعب آخر.**

كالأنتروبولوجيا وعلم النفس، والأنثولوجية وغيرها، ومنهم من انحرف بدراسة الشرق وأعجب بها بعد أن زارها واحتك بها مباشرة فتعرض للتخوين من بني جلدته وقومه، وهناك من اكتشف الشرق عن طريق قصص الغرب الخالدة في تراثهم، وأعاد قراءتها من وجهة نظر خاصة.

3: منهجية البحث في حقل الصورائية.

إذا كان هذا الأنا أو الآخر بلدا فإنّ دراسته ستأخذ وجهتين، بلد ما كما يصوره أدب آخر، وبلد ما كما يصوره مؤلف من أمة أخرى.
وبغض النظر عن وجهة الدراسة المقارنة في هذا الحقل، فإنها تهتم **" بدراسة صورة كاملة عن أمة من الأمم في مؤلفات كاتب واحد ينتمي إلى أمة مختلفة، أو تسعى إلى إبراز الصورة نفسها في أدب بأكمله، مثل دراسة بيير مارتينو-Pierre Martino [*] حول L'orient dans la littérature Française 1906، الشرق في الأدب الفرنسي"[95]**

من خلال دراسة الصورة ورصدها لجميع أبعادها الثقافية، والاجتماعية والسياسية والدينية والفنية وغيرها، ولهذا تصبح رؤية الدارس أكثر وضوحا واكتمالا.
إذا كانت الدراسة المقارنة تفترض منهجية محددة في تحليل الظاهرة الأدبية. **" وهنا تتحدد منهجية البحث في هذا الحقل في تفكيك الصورة إلى عناصرها المكونة لها، من أجل الوقوف على لحظة " ولادة " أو تشكل الصورة شعب ما في ذهنية شعب آخر.**

ثقافيا أجنبيا مغايرا مع البحث في طريقة " تكون " هذه الصورة من جهة، وتحديد ناصرها المنتجة لها من وجهة أخرى "[96].

لذلك نجد أن هذه المنهجية تركز على فكرة التاريخ للصورة بغية إرجاعها إلى أصوولها والكشف عن روافدها لأنها تمثل بالنسبة للشعب الآخر واقعا ثقافيا، أي يتصل بأجنبي المختلف، والمتميز عن الوطني أي " الذات ". وبما أن تشكيل صورة الدارس في ذهنية الآخر يساهم في تحقيق الغرض التواصلي، " فإنّ الصورة تستحق تحليلا يستطيع أن يتبنى نوعا من علم الدلالة، بتوسع وحرية بصورة خاصة، من أجل إعادة استخدام كلمات " رولان بارت - Rolon Bartles " * في عناصر علم الدلالة، فإنّ الصورة (وظيفة - إشارة)"[97].

إن هذا التصور الإيديولوجي المتشعب الدلالات يفترض أن يتعامل مع الصورة من منظور وظيفي، يأخذ بعدا تواصليا، شأنه في ذلك شأن الإشارة أو الرمز في علم الدلالة.

وبما أن الصورة عادة ما تتجلى عبر النصوص فإنها تصبح هي المتن الذي يتم الاشتغال عليه في حقل الصورائية، إلا " أن النصوص التي يدرسها علم الصورة والتي تسعى أحيانا صورة - نمطية- هي نصوص مبرمجة في قسم منها، ويمكن تأويلها مباشرة إلى حدها عن طريق الجمهور الذي يعرف الصورة كليا أو جزئيا للثقافة، والقول اللذين عبر عنها بهما، بالإضافة إلى ذلك، إنّ الخطابات عن (الآخر) المتنكرة بالخيال، ليست مطلقة عدديا، إنها متسلسلة بحسب رأي المؤرخين وتعدادها، وإظهارها، وشرحها يعني فهم كيف أن الصورة لغة رمزية داخل منظومة ثقافية، وخيال اجتماعي، هذا هو موضوع دراسة الصورة "[98].

فالملتقى الذي تتشكل الصورة لديه يمكنه أن يؤولها ويحللها من خلال دراسة تلقي الجمهور لها أو تشكيلها لديه كما أن إدراك الصورة وشرحها متوقف على فهم من حيث

---

[96] المرجع السابق، دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن ، ص. 178.

* رولان بارت واجتماعي وقد Roland Bartles: فيلسوف فرنسي وناقدا أدبي ومنظر (1915 - 1980) اتسعت أعماله لتشمل حقولا فكرية عديدة مثل البنوية والماركسية وما بعد البنوية والوجودية وتأثيره في تطور علم الدلالة أعماله " مقتطفات من أحاديث العشق " و " أمسيات باريس " .

[97] المرجع السابق، دانييل هنري باجو، ص. 93.

[98] المرجع نفسه ، ص. 93.

طبيعتها اللغوية (الرمزية) وخاصيتها الثقافية ومرجعيتها الاجتماعية، **لذلك فإنّ هذه العناصر تمثل المجال الرئيسي للبحث في حقل الصورائية، ولا يمنح اقتطاع الصورة من هذه الفضاءات، لأن أي إهمال لأحد العناصر يجعل المقاربة لها ناقصة وغير مقنعة**.

لذلك تعد اللغة " كعنصر أولي، تشكيلي للصورة، تعاين مخزونا واسعا إلى حد ما من الكلمات التي تسمح، في عصر وثقافة معينين، بالنشر الفوري لصورة (الآخر)".[99]

فالصورة التي تهم المقارن اليوم هي تلك التي يعبر عنها بالغة، وتتبع هذه الصورة الناحيتين التاريخية والتداولية، وهنا يجب أن نعاين القاموس اللغوي الذي يسمح لصورة بالانتشار والشيوع في عصر ما أو ثقافة معينة.

ولتشكيل صورة ما لا يكون الدارس بعيدا عن المشاعر الذاتية التي من شأنها تشويه الحقائق عمدا أو دون قصد. ولذلك **كان " لابد للباحث في هذا الباب- مع شرحه للصور التي كونها شعب ما في أدبه عن بلد أو بلاد أخرى- أن ينقذ هذه الصور ويبين ما فيها من صواب وخطأ، ويشرح أسباب الخطأ فيها، ويدعوا إلى وضع البلد أو الشعب موضعها الصحيح من أفكار الأمة وأدبها "**[100].

ولذلك نستنتج " أن المقاربة المقارنة للصورة ينبغي ألا تتم بمعزل عن مقاربة نقدية تحدد مواطن الصواب والخطأ فيها، مع التعليل الذي يشرح ذلك مدعما إياه بالحجة والدليل، وينتهي الباحث في الأخير إلى وضع الآخر الموضع الصحيح الذي يستحقه ضمن المنظومة الفكرية والأدبية للأنا "[101].

4: واقع الدراسات المتعلقة بالصورائية في الجزائر.

---

[99] المرجع السابق.دانييل هنري باجو، ص. 97.

[100] ينظر: محمد عنيمي هلال، الأدب المقارن، ط 3، دار العودة، بيروت، لبنان، 1983، ص. 427.

[101] المرجع السابق،دانييل هنري باجو. ص. 427.

لقد شهدت فترة نهاية الستينات وبداية السبعينات على صعيد الدراسات الأدبية المقارنة في الجزائر تسلم الجيل المعرب[102] شعلة ومسؤولية الاضطلاع والنهوض بشؤون وميادين الأدب المقارن بما فيها حقل الصورائية، وذلك بسبب مغادرة المقارنين الفرنسيين، وذوي اللسان الفرنسي من الجزائريين لكلية الآداب بجامعة الجزائر، وثانيها التحاق أساتذة ذوي اللسان

العربي بجامعة الجزائر لتدريس الأدب المقارن بالعربية.[103]

لذلك نذكر بعض الدراسات التي ساهمت بشكل كبير في تأسيس وإرساء دائم للبحث في حقل الصورائية بالجزائر.

ا- الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان:

وصاحب هذا العمل هو أبو العيد دودو* الذي يعد من الباحثين الجزائريين الأوائل الذين اشتغلوا على حقل الصورائية ويعد من معربي اللسان، وذلك من خلال مؤلفه الذي عنونه بـ " الجزائر في المؤلفات الرحالة الألمان " وهو المؤلف الذي رأى النور، وطبع لأول مرة سنة 1970 وهنا في هذا البحث قد حاول الباحث أن يرصد تمظهر صورة الجزائر في مخيلة الإنسان الألماني من خلال سرد مواقف وانطباعات الأدباء والرحالة الألمان الذين زارو الجزائر وكان ذلك ما بين 1830 و1855، ومن هؤلاء نذكر علم الطبيعة "موريتس فاغنر- Moritz Vagner " * صاحب كتاب " رحلات في ولاية الجزائر في سنوات 1836 و1837 و1838 "[104] .

---

[102] 1969 وكان ذلك بداية بالتحاق الدكتور أبو العيد دودو بمعهد اللغة العربية، وإذا بها بجامعة الجزائر، سنة كأستاذ لمقاييس الأدب المقارن والآداب الأجنبية، ونظرية الأدب، ثم التحاق المصري الدكتور أحمد الطاهر مكي بجامعة الجزائر سنوات السبعينات كأستاذ لمادة الأدب المقارن، لتتولى بعدها أفواج العائدين من البعثات العلمية من الخارج وأفواج من الأساتذة المتعاونين العرب أمثال: محمود صبح عز الدين المناصرة، عبد الدايم الشوا، حسين أبو النجا وآخرون لمزيد من المعلومات والتفصيل ينظر: بومدين جيلالي، تاريخ الأدب المقارن في الجزائر، مجلة متون، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سعيدة، ع 04، ديسمبر 2010، ص. 231-232.

[103] المرجع نفسه، بومدين جيلالي، تاريخ الأدب المقارن، ص. 231.

* أبو العيد دودو: وهو أول مدرس جزائري لمادة الأدب المقارن بجامعة الجزائر، باللغة العربية من سنة 1969 إلى غاية 2004، من مؤلفاته: " الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان "، " دراسات أدبية مقارنة " وغيرها.

للكتاب، [104] ينظر: أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830-1855، المؤسسة الوطنية الجزائر، (د- ط)، 1989.

ما وصل إليه أبو العيد دودو وما نستنتجه من هذا البحث أن **" الرحالة الألمان لم يضعوا كتبهم عن الجزائر حبا فيها ودفاعا عن حقوقها، وإنّما وضعوا أكثرها ولاسيما في الفترة الأولى لتكون دليلا لمن أراد من مواطنيهم الهجرة إلى الجزائر لإنشاء المستعمرات والإقامة بها...، لأنهم كانوا على الأغلب يشاركون المحتلين في عواطف الحقد على الدولة الجزائرية السابقة، ويرغبون رغبة كاملة في الانتقام تحت ستار الدين والتضامن الأوروبي "[105].**

إنّ الغاية من تأليف كتب الرحلات الألمانية إنما كانت تقديم بطاقة هوية تعرف المواطن الألماني بالجزائر، وتساهم في تشكيل صورة معينة لديه، ويهدف من خلال هذه الأعمال إلى تشجيع الألمان إلى الهجرة للجزائر والإقامة بها، واتخاذها كمستعمرة.

وهنا نجد أن أبو العيد دودو قد أبدى قدرا لا بأس به من الحياد والموضوعية في المعالجة والطرح، لأنه **" ينبغي أن نضع في أذهاننا دائما أن المؤلف أي مؤلف كان، عرضه للخطأ في المعلومات التي يقدمها، فقد يعود مثل هذا الخطأ إلى عدم معرفته للغتنا الوطنية، وقلة اطلاعه على الأحداث القومية اطلاعا مباشرا أو لشرعه في الحكم دون تحري الحقائق التاريخية أو لتعلقه بوجهة نظر معينة، فالمؤرخ الجزائري حر بعد ذلك في أن يرفضه ، ويتبناه بعد مناقشة علمية رزينة "[106].**

نجد أبو العيد دودو في هذا الكتاب يعقد مقارنة بين الحقائق والأحداث التي عاشتها الجزائر، وتلك التي تحدث عنها هؤلاء.

2- صورة الفرنسي في أدب الطاهر وطار:[107*]

---

[*] موريتس فاغنر Moritz Vagne : هو عالم ورحال ألماني تخصص في علم الطبيعة، زار الجزائر وألف كتاب سماه " رحلات في ولاية الجزائر" في سنوات (1831 -1837 -1838) صدر هذا الكتاب 1844، لقد وصف فيه الجزائريين بأنهم همجيين رغم أن رجال الأمير ساعده في أداء مهامه البحثية أكثر من مرة.

[105] المرجع السابق، ص. 07-08.

[106] المرجع نفسه، ص. 08.

[107*] الطاهر وطار من مواليد 15 أوت 1936 في سوق أهراس، 21 أغسطس 2010، وهو كاتب جزائري ولد في بيئة ريفية وأسرة أمازيغية، له مجموعة قصصية منها: " دخان من قلبي تونس" و "شهداء يعودون هذا الأسبوع "، أما في الرواية فنذكر منها: " رواية اللاز " و" رواية الزلزال " و " الحوات والقصر " و "الشمعة والدهاليز ".

[**] أحمد شريبط من مواليد منطقة الشمال القسنطيني، زاول تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي بمدينة سكيكدة وذلك في سنة 1965 إلى سنة 1976، ثم تعليمه الجامعي من سنة 1976 إلى سنة 1980 .

هذه الدراسة قام بها الدكتور شريبط أحمد شريبط ** في العدد الخامس والخمسين (55) من مجلة آمال سنة 1982، وهي عبارة عن رصد لصورة الفرنسي في روايتين، ومجموعتين قصصيتين للأديب الجزائري الطاهر وطار.

وهنا نجد أن أحمد شريبط قد اتجه في دراسته هذه وجهة معاكسة تماما، حيث ناقش في دراسته للآخر الفرنسي في خطابيه الروائي والقصصي، وهو يحلل هذه الرؤية في سياقها التشكيلي الفني والإيديولوجي بهذين الخطابين.

3- الجزائر في أدب ألبير كامو - Albert Gamus :

هي دراسة للباحث في ميدان الأدب المقارن، الدكتور عبد القادر توزان *** لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، تقدم بها الباحث إلى كلية الآداب بجامعة بغداد، وقد نوقشت سنة 1985 تحت إشراف الدكتور خالص صلاح.

وهي عبارة عن بحث أكاديمي مركز ومعمق في أدب وفكر الأديب والمفكر ألبير كامو حيث تميزت بالتركيز وعمق التحليل، وقد توسع الباحث في تتبع المؤثرات الجزائرية في جل أعمال كامو الروائية والقصصية، والفلسفية والمسرحية وغيرها.

4- صورة الصحراء الجزائرية بين إيتيان دينيه - Etienne Dinet وإيزابيل ايبر هاردت- Esabel Eber Hardet :

في هذه الدراسة يقدم الباحث عثمان بلميلود دراسة حداثية من حيث الموضوع والمنهج على حد سواء[108]، وقد قدم هذا البحث إلى كلية الآداب بجامعة وهران لنيل شهادة الماجستير في الدراسات المقارنة سنة 2001.

وقد التحق بجامعة عنابة كأستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وهو عضو في اتحاد الكتاب الجزائريين منذ سنة 1978، من أعماله الأدبية تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، دراسات ومقالات في الأدب الجزائري المعاصر والحديث، الأديب عبد المجيد الشافعي مقاربة تحليلية نقدية لإنتاجه الأدبي.

*** الدكتور عبد القادر توزان، أستاذ محاضر بجامعة الشلف مقياس الأدب المقارن والأدب الجاهلي إلى يومنا هذا. من أهم مؤلفاته: " الجزائر في أدب ألبير كامو " و " الشعور بالاغتراب عند أبي العلاء المعري وألبير كامو "، هذه الدراسة عبارة عن أطروحة تقدم بها الباحث لجامعة الجزائر لنيل درجة دكتوراه دولة تحت إشراف الدكتور الطاهر حجار سنة 2006.

[108] عثمان بلميلود، صورة الصحراء الجزائرية بين إيتيان دينيه وإيزابيل ايبر هاردت، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف: شريفي عبد الواحد، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر، 2001.

لمزيد من المعلومات أرجع إلى المرجع السابق، صغور أحلام، ص. 201.

ويعد هذا البحث في مجمله عبارة عن استنتاج واستقراء لصورة الصحراء الجزائرية من خلال قصص إيزابيل ايبر هاردت* وقصة " خضرة " راقصة أولاد نايل لإيتيان (نصر الدين) دينيه من خلال " **استقراء واستنطاق بعض من لوحاته " Tableau arrabe de la vie ".**

ويتكلم الباحث عن سبب جمعه ومقارنته لهذين الأدبين الرومانسيين إلى أنهما: " استقراء في المجتمع الجزائري وتمكنا من الكثير من عناصره، وثوابته اللغوية والعقيدية والاجتماعية "[109].

وهنا في هذه الدراسة أراد الباحث أن يعرف رؤية كل من **ايتيان دينيه** و **ايزابيل ايبر هاردت** للصحراء الجزائرية هل اعتمد على المنهج ذاته بحكم إقامتهما بالجزائر، واحتكاكهما بالمجتمع الجزائري، واطلاعها على بعض من عاداته وعن لغته ودينه.

5- صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي (1830-1930):

يعود الباحث عثمان بلميلود ليتمرس أكثر في حقل الصورائية من خلال بحثه **" صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي من 1830 - 1930 "**[110] وهو عبارة عن أطروحة تقدم بها إلى كليه الآداب بجامعة وهران لنيل درجة الدكتوراه سنة 2008، وهذه الدراسة قد رصدت الصورة الطبيعية للمجتمع الجزائري في مخيال الآخر (الفرنسي) من خلال أخذ بيئة ومجتمع أولاد نايل كحقل تطبيقي، وفضاء للدراسة، مشتغلا على توسيع مجال المقارنة إلى عدد كبير من الكتاب الاستعماريين[111] اللذين زاروا أو كتبوا عن رحلاتهم ومغامراتهم إلى الجزائر، ودول الساحل الإفريقي أمثال: الجنرال أوجين دوماس- Eugene Dumes وإميل ماسكيري - Emil Mosqueray والرسام ايتيان " نصر الدين " دينيه- Etienne Dinet وأندريه جيد- Andrie Gide وإيزابيل إيبر هاردت- Esabel Eber Hardet وغيرهم.

---

* إيزابيل هاردت: كاتبة ورحالة سويسرية (1877-1904)، لها بعض المقالات " تاسعديت - الساحر ..." ومحاولة روائية "راخيل " اعتنقت الإسلام وكانت تحارب الأخلاق الأوروبية.

[109] المرجع السابق، عثمان بلميلود، ص. ت. (المقدمة).

[110] عثمان بلميلود، صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي 1830-1930، أطروحة دكتوراه مخطوطة، الآداب، جامعة وهران، الجزائر، 2008.

[111] ينظر: المرجع السابق، صغور أحلام، ص. 203-204.

* فرانس كافكا - Franz Kafka (1883-1924) بالألمانية كاتب تشيكي يهودي كتب بالألمانية،

6- صورة العربي بين فرانس كافكا* -Franz Kafka وألبير كامو- Albert Gamus:

وهي دراسة تقدمت بها الباحثة معربي هوارية في حقل الصورائية المقارنة، إلى كلية الآداب والفنون بجامعة وهران سنة 2003 لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي.

في هذا البحث جمعت الباحثة بين الأديبين فرانس كافكا* وألبير كامو، لكثرة نقاط الالتقاء بينهما حيث أنها حققت نوعا من التقارب، فضلا عن كون كامو هو الذي قرأ لكافكا واطلع

على طريقة تفكيره ومواقفه تجاه الموضوعات التي عالجها في أدبه[112].

إن هذا التقارب بين هذين الأديبين هو الظروف المعيشية المتشابهة التي مر بها، وتجاربهم المختلفة، هذا ما أفرز لديهم تقاربا على مستوى التجارب الأدبية[113].

في هذا البحث أرادت الباحثة الكشف عن تفاصيل الصورة التي تشكله في ذهنية الكاتبين عن العربي، ولهذا قامت الباحثة في سياق ذلك بتقديم قراءة تقابلية بين صورة العربي في قصتي " بنات أوى وعرب " و " صفحة قديمة "، ورواية " الغريب ".

7- صورة الجزائر في الأدب الفرنسي غي دي موباسان- Gy De Maupassant وألبير كامو- Albert Gamus انموذجا:

هي دراسة تحليلية وصفية تقدمه بها أمينة سوفلان إلى كلية الآداب واللغات بجامعة بن يوسف بن خدة بالجزائر سنة 2009 لنيل شهادة الماجستير في قضايا الأدب والدراسات النقدية والمقارنة، وقد عالجت في هذه الدراسة محاور كبرى كالصورة ومجال دراستها في الأدب المقارن، ثم تطرقت الباحثة إلى الحديث عن أوليات ظهور صورة الجزائر في الوعي الفرنسي، مع التطرق إلى الكاتبين غي دي موباسان- Gy De Maupassant وألبير كامو- Albert Gamus وعلاقتهما بالجزائر، ثم

---

* له عدة روايات منها " المسخ "، " في مستعمرة العقاب "، رواية " المحكمة " ، " رواية القلعة ".

[112] ينظر: مغربي هوارية، صورة العربي بين فرانس كافكا وألبير كامو، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف: الأخضر بن عبد الله، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2003، ص. 201.

[113] ينظر: المرجع نفسه، ص. 202.

إجراء دراسة تحليلية ووضعية لنصوص مختارة فيما يخص صورة الجزائر في الأدب الفرنسي، مع تأويلها، كما تجلت في الثقافة الفرنسية[114].

والملاحظ في هذه الدراسة أنها رصدت الصورة وتتبعت مواطن تجليها عبر الوحدات المشكلة للخطاب بما في ذلك الأشخاص، والأماكن والزمن بأنواعه الخطي والتاريخي والأسطوري، والعمل على رصد كل حركات الأشخاص ضمن السياق العالم للنص، بالإضافة إلى طبيعة المعجم اللغوي، والأنماط أي الوحدات الإيديولوجية المتصلة ببعض الممارسات السلبية كالسرقة، والإجرام والعنف والتخلف والجهل والكذب وغيرها.[115]

لقد تعمدت الباحثة في هذه الدراسة تأويل صورة الجزائر والوقوف على كيفية تجليها في الثقافة الفرنسية، مع التركيز على صورة العربي (الجزائري) وقد وصلت الباحثة إلى استخلاص مواقف كلا الكاتبين من الجزائر، وثورتها، ثم القيام بموازنة بين هذه المواقف.

والملاحظ حول هذه الدراسات جميعها بين التنظير والتطبيق اعتمادا على دراسات وبحوث أدبية مقارنة سابقة، بالنظر إلى ما تقدم ذكره من نماذج عن البحث في حقل الصورائية فإن هذا الحقل قد لقي اهتمام الدارسين الجزائريين والمغاربة والمشارقة، نظرا لأهمية هذا النوع من البحوث في توجيه مسار العلاقات الدولية بين الشعوب وتحقيق التقارب فيما بينهما.

---

[114] ينظر: المرجع السابق، أمينة سوغلان، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي (غي دي موباسان وألبير كامو أنموذجا)، ص. 296.

[115] ينظر: المرجع نفسه، ص. 296.

الفصل الثاني: الجزائر في أدبيات الغربيين.

المبحث الأول: الجزائر في الأدب الفرنسي.

المبحث الثاني: الجزائر في أدبيات الرحالة الانجليز.

المبحث الثالث: الجزائر في الشعر الروسي.

المبحث الرابع: استنتاجات.

1: الجزائر في الأدب الفرنسي.

تصدرت الجزائر كموضوع اهتمامات الأدب الفرنسي، وقد تعددت مواقف الأدباء بشأنه، متأثرة بخصوصية كون هذا الموضوع قد مرّ على أربعة تيارات تخضع كلها " للاعتبارات السياسية، وضرورات خدمة إيديولوجية قوامها الندوات الأدبية، أو الفنون الجمالية أو تجربة العيش في الجزائر، على أن هذا التيار الأخير قد تميز به في بادئ الأمر كبار الكتاب

الرومنسيين، ثم أثار تلك المواجهة الحادة التي تسبب فيها الاستلاء على الجزائر مع الجنون الاستشراقي، ومحتقري كل ما هو شرقي وغريب عن المجتمع الفرنسي، وخصص مكانا بارزا للشهادات والمذكرات التي هي أكثر اتصالا بالوقائع الجزائرية، واشد التصاقا بأحداثها، ثم انتهى إلى الدراسات الأولى التي أجراها كتاب اتخذوا من الجزائر موطنا ومستقرا لهم"[116].

غير أن النظر إلى الجزائر على أنها بلد من بلدان الشرق الساحرة، وخلال المعتقد الإسلامي وجمال الفن العربي، قد اخترنا بعض الكتاب الذين كتبوا عن الجزائر خاصة في مطلع القرن العشرين.

أـ أنطوان سانت ايكزوبيري * Saint Exepery (1900 - 1944) :

نجد أن هذا الكاتب والطيار الفرنسي قد أعجب بجمال الصحراء، وخلدها في أعماله، لقد عمل طيارا وعسكريا، وأنتج له العديد من الفرص لزيارة مناطق مختلفة من العالم، وواجهته العديد من المشاكل والصعوبات التي نجد لها أثرا واضحا في كتاباته خاصة مؤلفه " أرض البشر " سنة 1939 إضافة إلى عدد من الانطباعات.

ب- تيوفيل غوتيه Theophille Koutie :

فقد قدم إلى الجزائر سنة 1945 بحثا عن فضاءات شرقية، وأجواء ألف ليلة وليلة، لكنه سرعان ما يبدي أسفه الشديد على فقدان مدينة الورود البليدة بعضا من ملامحها،

---

[116] محمد الصالح، صورة الجزائر في الأدب الفرانكفوري (1830 - 1962)، مجلة الثقافة، ع. 93، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ماي- جوان، 1986، ص. 83-84.

* أنطوان سانت ايكزوبيري- إحدى Saint Exupery (1900 - 1944)، كاتب وطيار فرنسي فقد في الرحلات الجوية، له مؤلفات أشاد فيها بالأمانة والشرف، والشجاعة والتضامن لدى الإنسان الصحراوي خاصة والجزائري عامة، نذكر منها " الطيران الليلي " و " أرض البشر " و" الأمير الصغير ".

وقد عبّر عن ذلك بالقول أنّها قد بدأت تفقد سحرها الشرقي، وكذا طابعها المعماري الأندلسي سريعا لتتحول إلى مدينة ذات طابع أوروبي، كما استوقفه مطولا حدث تدشين خط السكة الحديدية الذي يربط هذه المدينة بالعاصمة، من منظور أنه مشهد أخرص مشاهد الحضارة، وكذا واحدا من إنجازات فرنسا في الجزائر[117] الذي ما كان ليتحقق **" لولا السواعد القوية لجيشنا- حسب تعبيره - والذي يبشر بمستقبل مليء بالآمال لما يسميه " فرنسا الافريقية"[118].**

ج- ألبير كامو - Albert Gamus:

لقد كرس ألبير كامو[119] بعض أعماله السردية والوصفية للجزائر، فقد كانت الجزائر حاضرة في نصوص ألبير كامو بصفتها موضوعا حقيقيا، وكذلك موضوعا مجازيا، نجد ذلك واضحا من خلال قصصه القصيرة: الزفاف، الصيف، المنفى والملكوت...، وكذلك كانت حاضرة في رواياته: الغريب، الطاعون، الموت السعيد، الرجل الأول... وكذلك في مقالاته الصحفية والروبورتاجات التي قام بها كامو كصحفي ومتعاون مع صحف وجرائد شتى، وهذا ما سنتكلم عنه في كتاباته المتعلقة بصورة الجزائر.

1- في الرواية:

ا- الغريب (L'étranger):

صدرت رواية الغريب للأديب ألبير كامو في سنة 1942 م، في خضم أتون الحرب العالمية الثانية التي اشتغل لهيبها وبدأت أحداثها تتصاعد لتزداد قوتها، ومن ثمة بدت مضامينها الفلسفية ملائمة في تعبيرها عن وضعية الإنسان الأوروبي في ظروف الحرب العالمية الثانية وما تبعها من إحساس بالضياع، ولهذه الأسباب وغيرها، ذهب

---

[117] يشترك " تيوفيل غوتييه " في هذه الفكرة مع " لويس برتداند " متمثلة في إيمانهما العميق بالرسالة الحضارية التي كان يدعى الأوروبي نشرها في المستعمرات.

[118] أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، الطباعة الشعبية للجيش الجزائري، 2007، ص. 10.

[119] البير كامو - Albert Gamus (1960): من مواليد 1913 بالجزائر بقرية مندوفي Mondovi التابعة لولاية عنابة المسماة حاليا بلدية الذرعان، له عدّة روايات منها: الغريب، الموت السعيد، الطاعون، أما القصة " المنفى والملكوت ".

لمزيد من المعلومات أنظر: غسان السيد، إشكالية الموت في الأدب، ص. 63 - 64 - 65.

بعض النقاد إلى عدّها أحسن رواية تأثيرا وإقناعا، وأحسنها بناء في الأدب العالمي[120]، والشهادات والتأملات، والقصص والحكايات التي اهتدى إليها إلهام تجاربه الشخصية. ومن ذلك حادث طيران وقع بإحدى مناطق الصحراء الليبية، حيث كان " سانت ايكزوبيري " بصحبة " أندريه بريفو "، وهو أحد مرافقيه وكاد الاثنين يلقيان حتفهما لولا مساعدة واحد من أهالي المنطقة، وفي هذا الشأن كتب ايكزوبيري فقال: " أحببت الصحراء كثيرا، قضيت ليال مبحرا في سحرها " وهكذا تحولت الصحراء كواقع تميزه القسوة، بسبب هذه الحوادث التي كثيرا ما كانت تتكرر، وأصبحت محور اهتمام أدبي لديه، فموقفه من الصحراء كان إيجابيا بالرغم من ملابسات احتكاكه بها، على هذا النحو استمر الكاتب في تشكيل الصحراء كموضوع أدبي في كتاباته.[121]

ومن التفاصيل التي ذكرها فيما تعلق بعلاقته بأهل الصحراء حديثه عن ذلك البدوي الذي أنقذ حياته من القفار الموحشة في منتصف الثلاثينيات، حيث كتب عنه، فقال: " **أما أنت الذي أنقذتنا أيها البدوي... ستختفي من ذاكرتي نهائيا، لا أتذكر وجهك أبدا ومع ذلك، تعرفت علينا- أنت الأخ المحبوب- وبدوري سأتعرف عليك في وجوه جميع الرجال ".[122]**

هذه الرواية ليست مجرد حكاية تسرد وقائع وأحداث وأفعال أشخاص في إطارات محددة إنها تدليل على فلسفة " العبث ".[123]

ووراء كل صورة أو مشهد فيها فكرة، ولكل شخصية بها تعبير عن رمز مجسد يخفي وراءه كثيرا يقال.[124]

---

[120] عبد القادر توزان، الجزائر في أدب ألبير كامو، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف: خالص صلاح، جامعة بغداد، 1985، ص. 214.

[121] أنظر: سعد خطيبي، الأمير الصغير ينقلب على الإيديولوجيات الضيقة، جريدة الخبر، ع. 6073، 21/ 07/ 2010.

[122] المرجع السابق، سعيد خطيبي، الأمير الصغير ينقلب على الإيديولوجيات الضيقة، جريدة الخبر، ع. 6073، 2010/07/21.

[123] كتب عن العبثية العديد من الكتاب كل له تفسيره وأفكاره عن ماهيته العبثية وأهميتها: كتب عنها سارتر بوصفها تجربة فردية، في حين تحدّث كير كيجارد أنّ عبث بعض الحقائق الدينية يمنعنا من الوصول إل الله بعقلانية.

[124] ينظر فؤاد شاكر، حصاد القرن العشرين الإبداعات الأدبية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 2005.

ونعتها سارتر بالغرابة بقوله: **" وفي وسط الإنتاج الأدبي لعصرنا، كانت هذه الرواية ذاتها غريبة مقارنة بين عنوان الرواية ومضامينها ".**[125]

تجري أطوار الرواية في مدينة الجزائر العاصمة وضواحيها، تحرك عجلة أحداثها شخصية محورية هي شخصية البطل العاق " ميرسو "، وهو شاب بسيط من عائلة فقيرة تسكن في شارع رئيسي على ضفاف وضواحي العاصمة، ويعمل موظفا في مدينة الجزائر، يحيا حياة عادية، أقرب إلى التفاهة والرتابة والسلبية، لا يأبه بما يهز المشاعر أو يثير: لا موت أمه، ولا علاقته بماري، ولا دفء صداقة، وكأنه لا يعرف الفرح أو الغضب أو الأحزان والندم، بلا طموح.[126]

فقد أودع هذا العاق أمه في دار العجزة لعدم قدرته على العناية بها، وتنقسم الرواية إلى قسمين: القسم الأول تدور أحداثه في " مازنغو " ومدينة الجزائر، وتجري أحداث القسم الثاني في مركز الشرطة والسجن والمحكمة.[127]

وعلى هذا فلا غرابة في أن يتخذ كامو من أرض الجزائر مسرحا لمجريات وقائع الرواية الدرامية، " إنها عند كامو هي أرض العبث الحقيقي، إذ ليس بالصدفة أن يقع اختياره كل مرة على مدينة من مدن الجزائر".[128]

ب- الطاعون (La Peste):

من أضخم أعمال ألبير كامو الأدبية والفلسفية وأكثرها شهرة صدرت عن دار النشر غاليماز **(Gallimard) سنة 1947** في فترة ما بين الحرب العالمية الثانية وحرب التحرير الجزائرية، استنزفت من الكاتب جهد ثماني سنوات، وهي مقتبسة من جريدة الطاعون لـ: دانيال ديفوت **" Daniel Defoe "** الذي تحدث عن مراحل وباء خيالي.[129]

---

[125] المرجع السابق، عبد القادر توزان، الجزائر في أدب ألبير كامو، ص. 214 - 215 .

[126] ينظر: المرجع السابق، فؤاد شاكر، ص. 103.

[127] ينظر: مبخوتة رعاش، صورة الجزائر في روايات ألبير كامو، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف: بوجمعة الوالي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2007، 2008، ص. 115.

[128] المرجع السابق، عبد القادر توزان، الجزائر في أدب ألبير كامو، ص. 132.

[129] Maurue Nadeau, Le Roman Française depuis la guerre, Paris, Ed. Gallimard. Coll., idées. NRE, 1970, p. 111.

ترجمة الرواية إلى عديد اللغات العالمية ولا غرابة في أن عدها بعض الدارسين[130] " من أهم وأجود ست روايات نشرت منذ الحرب العالمية الثانية ".[131]

تجري أحداث الرواية في مدينة وهران الجزائرية وضواحيها في فترة الأربعينيات من القرن الماضي[132]، وهي تصور المدينة عندما " دهمها مرض الطاعون " الذي يمثل هجمة الشر الأسود القاتل، فيغير ملامح الحياة ومشاعر البشر وينشر الآلام في كل مكان: **" آلام المرض، وآلام الفراق (بموت الأهل والأحبة)، وآلام العجز وآلام اليأس".[133]**

ترتسم معالم هذا الضيف الثقيل في أركان المدينة: **" فكيف السبيل مثلا إلى تصور مدينة بغير حمام ولا أشجار ولا حدائق، حيث لا خفقات أجنحة ولا حفيف أوراق، فكيف السبيل إلى تصور مكان محايد بكلمة واحد؟ إنّ السماء وحدها هي التي تنبئ بتغير الفصول... تحرق الشمس البيوت المفرطة الجفاف، وتحظى الجدران برماد أشهب، فلا يمكن العيش إذ ذاك إلا في ظل المصاريع المغلقة، وأما في الخريف، فهناك على النقيض، فيض من الوحل، وإنما تحل الأيام الجميلة في الشتاء فحسب ".[134]**

توحي اللوحة السوداوية لمدينة وهران في الرواية أن ألبير كامو كتب هذه الرواية في فترة تاريخية شعر فيها الكاتب بضغوطات عديدة أهمها الاضطهاد الألماني لبلاده، وقد اعتمد فيها على الوصف المجازي، **" فكل هذه الأحداث وتصرفات الأشخاص وأفكارهم وانفعالاتهم مرتبطة بما اكتسبه الكاتب في حياته من معارف، فانعكس ذلك في روايته**

---

[130] هناك من الدارسين من يفضل هذه الرواية على الغريب، في حين يرى آخرون أنّ رواية الغريب أوسع شهرة من الطاعون، ومن ضمنهم الفيلسوف جانسون الذي يعتبر جميع أعمال كامو غير ذات قيمة باستثناء كتاب الغريب، أما كتاب الطاعون فإن جانسون يعتبر محواه مجرد لأزمة تكرر ما ورد أسطورة سيزيف " في حين عبر كامو عن بيار أولوا. فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل،ترجمة:مسعودمسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص. 71.

[131] تشارل رولو، كامو الرجل الطيب، ترجمة: ماهر البطوطي، مجلة الآداب، ع. 21، بيروت - لبنان، 1963، ص. 47.

[132] لم يشر الكاتب إلى السنة بالضبط، حيث استهل مجريات الرواية بقوله: " وقعت الأحداث الغريبة التي هي موضوع هذه القصة عام (...) 194 في وهران... ".

[133] المرجع السابق، فؤاد شاكر، ص. 105.

[134] ألبير كامو، الطاعون، تر: إدريس، دار الأداب، بيروت- لبنان، ط1، 1981، ص. 05.

التي جمعت شخصيات أوروبية كثيرة وعلى رأسهم بطل الرواية الدكتور "ريو" الذي يعبر عن سلوكات إنسانية مختلفة فهو الأقرب-بلا شك- من أفكار الكاتب وأحاسيسه".[135]

تعود شهرة الرواية في نظر الباحثة **"جرمين يري"**[*] إلى كونها **"رواية ذات طابع رمزي لدلالاته المتعددة من اجتماعية وسياسية وأخلاقية... وكذلك أسلوبها التوضيحي البسيط وما تحمله من أفكار بدت مناسبة لوضع الإنسان الأوروبي، وموافقتها للعديد من جوانب حياته المضطربة في تلك المرحلة الحاسمة من التاريخ البشري".**[136]

تبدوا الموضوعات المطروحة بالرواية موضوعات مازالت إلى يومنا هذا مصدر قلق الإنسان وفزعه ورعبة الناجم عن التطور الحضاري والعسكري الذي أصبح يهدد بالموت في كل لحظة، وبالرغم من ظروف الحرب العالمية القاسية، فإن من الدارسين من يرى أنها استطاعت أن تخرج من فوضى منتصف القرن أشدها إملاقا وأعمقها فعلا في النفس.[137]

تتمايز أطوار الرواية التي تحكي وقائع تراجيدية عاشتها مدينة عربية في قلب بلاد الجزائر، كانت الفئران تغزوها من كل جهة وتتسبب في وباء فتاك وقاتل.

2- في المقالة:

نشر كامو العديد من البحوث والمقالات المختلفة والمتنوعة بدءا بمجموعته الأولى " الوجه والقفا " **L'envers et L'endroit سنة** 1937، ثم أعراس **(Noces)** سنة 1938 ومجموعة "حاليات" أو " وقائع " **(Actuelles)** بأجزائها الثلاثة، ولهذا سنتكلم عن **"أعراس والصيف".**

- أعراس والصيف:

---

[135] المرجع السابق، رعاش مبخوتة، ص. 28.

[*] جرمين يري Girmin Yary كاتبة وناقدة فرنسية.

[136] جرمين يري، ألبير كامو، تر: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط2، 1981، ص. 146.

[137] المرجع نفسه ، جرمين يري، ص. 146.

وهما مجموعتا مقالات وخواطر تعبران عن آراء ومواقف فلسفية وإنسانية، ويغلب عليها الوصف والتقرير وطابع التأمل، جمعت في مؤلف واحد بعنوان: **" De l'été Noces Suivi ".**

تتمثل المجموعة الأولى **" أعراس "** على أربعة مقالات وهي على التوالي: **" أعراس في تيبازة "، " ريح الجميلة "، " صيف جزائري " و " الصحراء "**[138].

في هذه المجموعة كتب كامو عن الطبيعة الجزائرية يتغنى فيها بلغة شعرية[139]، كما كتب عن صيف الجزائر: **" البحر عند منعطف كل شارع، ثقل معين للشمس، جمال العرق، وكما هو الحال دزما، فإنّ في هذه التقدمة لعطرا أكثر سرية ".**[140]

وكتب عن تيبازة وجبل شنوة، يصف: " الكتلة السوداء لجيل شنوة الذي تمتد جذوره في التلال المحيطة بالقرية، ويهتز بإيقاع واثق ثقيل ليتنادى فيقبع في البحر"[141]، وذلك الإلهام الفني الذي يعتريه حين وقوفه بتيبازة " يكفيني أن أعيش بكل جسدي وأن اشهد بكل قلبي، أن أعيش تيبازة، وأشهد، ثم ستأتي الآية الفنية فيما بعد، إنّ في هذا لحرية "[142].

كما كتب كامو عن الصحراء وعن الريح تعبث بأطلال وخرائب جميلة ونشيد تلالها الحزين الذي يعمق في روحه مرارة هذه الحقيقة، ببساطة: **" إن فجور الطبيعة والبحر اللا محدود الذي يأسر خلايا كلها. في زواج الخرائب والربيع هذا، استحالت الخرائب صخور، وعادت إلى أمها الطبيعة، وقد تجردت من ملمسها الصقيل الذي فرضه عليها الإنسان"**[143].

أما المجموعة الثانية من المقالات "الصيف" فتشتمل على ثماني مقالات هي على التوالي: **"المينوتور أو موقف وهران"، "بروميثيوس في جهنم"، "أشجار اللوز"،**

---

[138] ينظر: المرجع السابق، أمينة سوفلان، ص. 75.

[139] ورد في تنبيه من الناشر الفرنسي لهذه المقالات التي أشار إلى أنها كتبت بين عامي 1936 و 1937، أن ألبير كامو لم يكتف عن اعتبارها مقالات، بالمعنى الدقيق والحصري للفظة، أنظر: ألبير كامو، أعراس، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (دت.ط)، ص. 07.

[140] المرجع نفسه، ص. 33.

[141] المرجع نفسه، ص. 13.

[142] المرجع نفسه، ص. 18.

[143] المرجع السابق، ألبير كامو، أعراس، ص. 14.

"دليل مختصر لمدن بلا ماضي"، " منفى هيلين "، " اللغز "، " العودة إلى تيبازة " و " البحر عن قرب ".

تحدث في "المينوتور أو موقف وهران" عن مفارقات وغرابة أطوار هذه المدينة حيث، "تعرض متاجر الأحذية نماذج قبيحة من الجص لأقدام معذبة، وحيث تتجاور في الواجهات عدة الاحتفالات وزينات الأعياد مع المحافظ النقدية الثلاثية الألوان، وحيث مازال ممكنا أيضا إيجاد مقاه رائعة، مائدة تقديم الشراب فيها مطلية بالقذارة ومكسوة بأقدام الذباب وأجنحته وحيث يقدمون الشراب في أكواب مشرومة، مقاه سعيدة في بلد سعيد... في متجر للتحف القديمة، تمثال خشبي قبيع للعذراء يبتسم دونما لياقة، من توقيع مجهول شهير، لكن في أيفله، ولكي ينتبه الجميع، وضع أصحاب المتجر لوحة كتب عليها: "عذراء من خشب، نحت مايا ".

مجلات المصورين تعرض وجوها عجيبة، بدءا بالبحار الوهراني الذي يتكأ بكوعه إلى منضدة، وصولا إلى شابة في سن الزواج مجزمة بطريقة غريبة أمام خلفية غابة..."[144].

كما تحدث عن جاءة " غاليني " التي تستوقفك: **"عليك أن تلمع حذاءك عند العاشرة صباحا، هواء منعش، الشمس صافية، رجال ونساء يتزاحمون، والمتعة الرائعة التي نشعرها ونحن نراقب عمل ماسح الأحذية، متربعين على مقعد عال، عمل متقن، منجز ببراعة، حتى أدق التفاصيل".**[145]

كما صور علاقة الإنسان بالأرض والوطن ومسؤولية الفرد والمجتمع والرغبة في تحقيق أفراح نفسية من خلال: **" قصة سوء تفاهم (Le malentendu)** العجوز **الذي يرمي قصاصات ورق من الطابق الأول لكي يجذب القطط ومن ثم يبصق عليها، حين يصيب إحداها يضحك العجوز ".[146]**

د- جون بول سارتر* Jean-Paul sartre:

في مقال لجون بول سارتر نشرته مجلة الآداب (قضية الجزائر...أبدا، مجندون يشهدن) يذكر أنّ فرنسا قد استعملت أحقر الأساليب لإجلال السلام في الجزائر على زعمها،

---

[144] ألبير كامو، لعبة الأوراق والنور (مفكرة 01)، تر: نجوى بركات، منشورات كلمة ودار الآداب، أبوظبي- بيروت، ط1، 2013، ص. 197.

[145] المرجع نفسه، ص. 207.

[146] المرجع نفسه، ألبير كامو، لعبة الأوراق والنور، ص. 231.

هذه الأساليب التي تتناقض مع تاريخ فرنسا الحافل بالإنسانية والمبادئ، فقد كانت هذه الأساليب ممارسة منظمة عنيدة للعنف المطلق، فهناك ألوان عن من السلب والنهب والاعتداء على أغراض النساء، وأنواع من الانتقام من السكان المدنيين، ومن الإعدام بالجملة وبلا محاكمة، واللجوء إلى التعذيب لانتزاع الاعترافات والمعلومات.[147]

وفي مقال آخر عن مقدمة كتبها سارتر لكتاب " فرانز فانون "، " معذبوا الأرض "، " يضع سارتر في هذا المقال تفاصيل دقيقة عن التعذيب في الجزائر، والسياسة الاستعمارية الفاشلة التي استعملتها فرنسا ضد المدنيين العزل فهو من ناحية يذكر الفرنسيين بمبادئ الثورة الفرنسية، ويستهزئ بهم قائلا: "... يا لها من ثرثرة: حرية، مساواة، أخوة، حب، شرف، وطن، الخ...؟ ويقول أيضا: "... إذا كنتم بحاجة إلى مثال فتذكروا هذه الكلمات الكبيرة: ما أكرمها وأسمحها فرنسا! نحن كرماء السمحاء؟ وسطيف! وهذه الأعوام الثمانية من الحرب الوحشية التي مات فيها أكثر من مليون جزائري!، والتعذيب بالكهرباء؟...

ومن ناحية أخرى نجده ينتقد سياسات الحكومة الفرنسية في معالجة قضية الجزائر، فيقول: "...فليس حسنا أن يكون موظف شرطة مضطرا لأن يعذب عشر ساعات في اليوم، فإن ذلك سيؤدي بأعصابه إلى الانفجار، إلا إذا منع الجلادون لمصلحتهم الخاصة من أن يعملوا ساعات إضافية، فحين يراد حماية معنويات الأمة والجيش بصرامة القوانين، فليس حسنا أن يحطم الجيش معنويات الأمة، ولا أن يضع بلد جمهورية التقاليد مئات الألوف من شبانه بين أيدي ضباط انقلابيين مغامرين...".[148]

---

[*]هو جون بول آيمارد سارترJean - Paul Aymard Sartre من مواليد 21 جوان 1905 بمدينة "، باريس له عدّة أعمال قصصية وروائية ومسرحية، ودراسات فلسفية ونقدية واجتماعية وسياسية ونفسية، وبعض المقدمات للعديد من المؤلفات نذكر منها: رواية الغثيان " La Nausée مسرحية الذباب "Les Mouches".

[147] ينظر: حسن شمص، وشهد شاهد، مقالات غربية عن الثورة الجزائرية والجزائر، دار الأبحاث " الجزائر "، وهو كتاب هدية من وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الـ 50 لعيد الاستقلال، الطبعة الأولى، 1433 هـ/ 2012 م، ص. 53 - 62.

[148] جان بول سارتر، معذبو الأرض، تر: سهيل إدريس، مجلة الآداب، ع 2، بيروت - لبنان، فيفري 1962، ص. 52،53. نقلا عن كتاب قضايا الثورة في مجلة الآداب البيروتية، ص. 106، 107.

وقد تطرق العديد من الدارسين لهذه الوضعية التي عاشها الشعب الجزائري، أثناء الثورة مركزين على الآثار التي خلفتها السياسة الاستعمارية في قمعها الشعب الجزائري، ومن هؤلاء " سارتر " الذي أجاب مخاطبا المعمرين والأقدام السوداء في الجزائر قائلا: "...نعم إنّ الفلاح يموت جوعا، نعم إنّه بحاجة إلى كل شيء، إلى الأرض والعمل والعلم، نعم إنّ الأمراض ترهقه، نعم إنّ حالة الجزائر الراهنة تشبه أسوأ الأوان البؤس في الشرق الأقصى".[149]

كان سارتر شديد الالتزام فيما يخص المساومة على القضايا العادلة للشعوب في تقرير مصيرها، وتعد قضية الجزائر**La cause Algérienne** من أبرز القضايا التي أبدى في مساءلتها ومكاشفتها شجاعة وجرأة، لقد كان إلى جانب كفاح الشعب الجزائري في أعمق التفاصيل ضد الاستعمار الفرنسي، وقد شارك هذا الطرح صديقته سيمون دوبوفوار، لقد كانت المسألة بالنسبة إليه أشبه بعمل تراجيدي شخصي راح يحيا جزئياته بعنفوانه وإحساسه الصادق تجاه ما يؤمن به خاصة مفهوم الحرية، ولعلى حجة المشاركة بين سارتر ورفيقته تستشفها من قول هذه: **" أنا لا أستغل أيا كان بطريقة مباشرة وبحجة ذلك عشت ثورة الجزائر كمأساة شخصية ".**[150]

إنّ سارتر في تقديم الجزائر موضوعا للمناقشة في مؤلفاته الأدبية والفلسفية والسياسية راح يقوم وبعمق بتعرية مختلف الالتزامات والممارسات والمواقف التي كان في كثير من الأحيان ينقل بها من مدرج السياسة وتبعاتها المعقدة الشائكة، لقد غامر في سبيل إقرار هذه القناعة-حق الحرية- بكل ما يملك حتى بحياته التي كاد يفقدها في كثير من الأحيان أثناء تواجده بفرنسا.[151]

راح سارتر يتسائل ويواجه به فرنسا المستعمرة الحمقاء والقذرة على حد وصفه لها، وقد عبر عن ذلك بالقول: **" إنّ الاستعمار يعمل الآن على تهديم نفسه، إنه عارنا...إنّه ينشر بيننا وباء العنصرية... وهو يفرض على شبابنا أن يموتوا رغما عنهم من أجل مبادئ نازية نحاربها منذ عشر سنوات... ولا شك في أن الذين يتحدثون عن ترك**

---

[149] جان بول سارتر، "عارنا... في الجزائر"، تر: عايدة وسهيل إدريس، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، 1958، ص. 24.

[150] ينظر:

Simone de Beauvoir. La force des choses2, Gallimard. Paris, 1963, p. 501.

[151] المرجع السابق، سمير بوعلام، ص. 111.

الجزائر هم بلهاء، فليس لنا أن نترك ما لم نملك قط، هي أن نبني مع الجائرين علاقات جديدة بين فرنسا حرة وجزائر محررة...أن نكافح إلى جانبها لنحرر في الوقت نفسه الجزائريين والفرنسيين من الاستبداد الاستعماري".[152]

لكن عملية التعذيب التي استعملها الاستعمار الفرنسي، يعتقد سارتر أنّه يمكن أن يكون من أقصى الحالات والمقامات التي تظهر فيها الحرية الإنسانية بأصفى وأجل صورها، بل وبأوضح أشكالها[153]. فالتعذيب يجعل المضطهدين أمام الحقيقة، في مواجهة مع مصير تقرر سلفا، أما أن نتغير فنغير، وإما أن نبقي الفقرة المكررة دائما في خطاب التعذيب.

إن خطاب المعارضة لدى سارتر يتم بأكثر صراحة ووضوحا، إنه ينم عن مواقف وقناعات رفض ثابتة بعيدا عن التلميح، والخداع والمراوغة، فهو عبر هذه الجزئية لا يحاور المستعمر بلغته أو يتبع أساليبه في صوغ الخطاب وتفعيل الممارسة، فإذا كان المحتل يستفد كل طاقاته ويستثمر كل الإمكانات المتاحة لإقناع الشعب بنواياه الطبية ومقاصده الخبرة فإن سارتر يقف على النقيض من ذلك إنها حقيقة ثابتة في اعتماده كون المستعمر ليس مصدرا للخير أو الشر، لأنه لا يحتمل أي قيمة غير كونه مصدرا للدمار فقط، ومن هذا المدخل رفض سارتر جميع الممارسات الاستعمارية جملة وتفصيلا، يقول: " ليس هناك مستعمرون صالحون، وآخرون أشرار، هناك مستعمرون وحسب ".[154]

وخلاصة القول أن شخصية الأديب والمفكر والفيلسوف " جون بول سارتر " قد صاغتها ظروف الحياة القاسية التي عاشها طيلة فترة حياته منذ 1905 إلى غاية 1980، الأمر الذي كان له انعكاس خاص في توجيه أعماله القصصية والروائية والمسرحية، والفلسفية والنقدية اتجاها معينا راح يلامس من خلاله قضايا الإنسان، وهمومه وانشغالاته خاصة مسائل الحرية.

لقد كان سارتر صادق بما يكفي ليقدم الجزائر في أعمق تفاصيلها، كاشفا جراحها، والواقع المزري الذي فرض عليها من طرف المستعمر الفرنسي، لقد تنازل عن فرنسا

---

[152] المرجع السابق، جان بول سارتر "عارنا.... في الجزائر"، ص. 32.

[153] ينظر: فليب ثودي، سارتر، جورج جحا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، 1973، ص. 224.

[154] المرجع السابق، جان بول سارتر، " عارنا...في الجزائر "، 1975، ص. 08.

الهوية، والانتماء والتكريم بجائزة نوبل، لأن ذلك كله مزيفا بلا معنى، ولأنه صادقا مع ذاته كان صادقا مع الآخر في تقديم صورة عنه، ومن هذا راحت الجزائر تتمثل في مخيلته وكتاباته.

2: الجزائر في أدبيات الرحالة الإنجليز:

التساؤل الذي طرحه الأستاذ عبد الله الركيبي على نفسه عندما أراد أن يصول ويجول في هذا الحقل. **يقول**: ألم يكتب الانجليز عن الجزائر؟

عندما احتلت الجزائر أطراف من التراب الجزائري لدوافع كثيرة دينية واقتصادية وحضارية وجغرافية. " وهذا ما دفع بالباحثين والرحالة والمستشرقين إلى أن يولوا وجوههم شطر الجزائر، يدرسون ويسجلون ويكتبون المؤلفات من هذا البلد وعن تشبثه بحريته وسيطرته على المتوسط"[155]، ولسوء الحظ فإننا في الجزائر لم نهتم بهذه الرحالات التي قام بها الفرنسيون في بلادنا ولست أدري لماذا؟ وأهملناها بلا سبب مقنع بل أننا لم نهتم

برحلات قام بها كثير من الغربيين وربما تفاجأ عندما نعرف أنّ هناك " سويديين " قاموا

برحلات إلى بلادنا رغم أنّ السويد " تبدوا بعيدة عن أن نهتم بالجزائر"[156]، ومع ذلك فهناك

قلة نادرة اهتمت بهؤلاء الغربيين.

أمثال: الدكتور أبو العيد دودو، الذي عنى بما كتبه الألمان في القرن الماضي عن الجزائر ومثله الأستاذ إسماعيل العربي، وقد اهتم هذا الأخير بالرحلات عامة شرقا وغربا.

أمّا فيما يتصل بالرحلات " الإنجليز " إلى الجزائر فإنّ بعض هذه الرحلات قد تمت في القرن الماضي وبعضها الآخر أنجز قبله وفي القرن الحالي أيضا وحتى أثناء ثورة نوفمبر 1954.

" وفي اعتقاد الأستاذ عبد الله الركيبي أن هذه المؤلفات تفيد المؤرخين الذين تعنيهم المصادر المتعددة والنظرة المختلفة، فهناك هواة ومحترفون أعدوا هذه الدراسات أو

---

[155] الدكتور عبد الله الركيبي " الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، Alegria in the Eyes of English الحكمة، Travers 1999 ، دار 91 شارع ديدوش مراد، الجزائر العاصمة، 16000، ص. 08.

[156] المرجع نفسه، ص. 10.

سجلوا انطباعاتهم العابرة أو تعمقوا في ملامح الواقع الجزائري في فترات كثيرة على مدى قرنين كاملين من الزمن أو أكثر من ذلك"[157].

كذلك الروائيون وخاصة الذين يكتبون الرواية التاريخية يمكنهم أن يستفيدوا من هذه الكتب، فتساعدهم على وصف الطبيعة في ذلك الوقت أو البيئة الجغرافية والاجتماعية في أمكنة محددة وأزمنة متعددة.

" في هذين القرنين مرت الجزائر بأحداث سياسية واجتماعية وثقافية متنوعة يمكن رصدها

من خلال هذه الرحلات، كما أنّ هناك تقاليد تغيرت أو تطورت أو اندثرت إلى جانب أن بعضها استمر حتى اليوم، ومثلها العمارة التي تطورت منذ ذلك التاريخ أيضا"[158].

كل هذه الملامح سجلها الكتاب بالتفصيل أحيانا، ويمكن لعالم الاجتماع أن يجد فيها ما يلائم تخصصه فيقارن بين الأمس واليوم، حتى يبين لنا الصورة الحية عن حياة الناس في هذه المراحل التي مرّ بها الشعب الجزائري.

" إلى جانب هذا كله معلومات كثيرة نقلها هؤلاء الرحالة وركزوا اهتماماتهم عليها لغرض ما، فتنوعت اجتهاداتهم، ومشاربهم ونظرتهم إلى واقع الشعب الجزائري وطموحه حتى أن بعضهم اهتم بالسياسة فتعاطف مع شعبنا وقضيته، وبعضهم اهتم بالتسلية فكانت كتاباته للمتعة والترفيه خاصة حين يصف جمال الطبيعة الزاخرة بالألوان والتنوع من سماء زرقاء وبحر جميل وصحراء ساحرة وشمس ساطعة وكرم ملحوظ وشجاعة نادرة وغير ذلك من قيم وأخلاق عرف بها الشعب الجزائري "[159].

إلا أن بعض من هؤلاء الرحالة لا يتعاطفون مع واقعنا وشعبنا وبعضهم الآخر يتعاطف بشكل واضح، ومن الذين تعاطفوا مع الواقع الجزائري أنذاك الرحالة " **ليدر** "* ..... الذي كتب عن مدينة بسكرة وضواحيها وأنحى باللائمة على أولئك " الذين لا يغرفون شيئا عن الذهنية العربية ومرونتها وطبيعتها، وهناك يقول عبد الله الركيبي " إنني

---

157 المرجع السابق، عبد الله الركيبي، ص. 10.

158 المرجع نفسه، ص.11..

159 المرجع السابق، عبد الله الركيبي، ص. 12.

* س- ه. ليدر، كتاب (بوابة الصحراء، بسكرة وما حولها).

The Désert Gate Biskra and Therabout. S. Hleeder, London, 1910.

حاولت الوصول إلى ذلك أو قد حصلت على مفتاح السر الذي لم يصل إليه أوروبي قبلي..."[160] .

ويهاجم الكتاب الذين يتعصبون ضد العرب في كتاباتهم للدفاع الحاد عن المسيحية ومحاولة هدم تعاليم الإسلام ومثله صاحب كتاب " جولات في الجزائر وما حولها "[161] الذي لاحظ هو الآخر الفرق بين الشعبين الجزائري والفرنسي والتناقض بين تفكير هؤلاء وأولئك، الذي جعل من الصعب التساكن بين الاثنين فيقول: " إنّ منهاج الحياة وطرائق التفكير للشعبين متضادة، فكل ما يتمسك به العربي يحتقره الفرنسي وكل ما يهتم به الفرنسي يرفضه العربي..."[162] .

إذا كان هؤلاء الرحالة يصرخون أحيانا أو يتكتمون أحيانا أخرى أو يعمدون إلى التلميح مرة ثالثة سواء كان ذلك تعاطفا معنا أو غيرها فإن الأمر الهام هو الاطلاع على ما كتبوا ثم الحكم عليه من وجهة نظرنا نحن "[163].

- توجهات كتب الرحالة:

أولا: الكتب التاريخية.

الكتب التاريخية التي كتبها الانجليز عن بلادنا ماضيا وحاضرا سواء التي تعلقت بكتب تاريخية سياسية مثل كتاب " حرب متوحشة من أجل السلام في الجزائر " من 1954-1962 لمؤلفه " ليستر هورن " وقد طبع بلندن عام 1977[164].

ثانيا: الرحلات التي كان الدافع لها دراسة منطقة جغرافية معينة.

مثل رحلة في ربوع الأوراس " لمؤلفها " هيلتون سيمبسون[165] فقد زار الجزائر ثلاث مرات ابتداء من عام 1912 إلى عام 1920 وكان هدفه دراسة منطقة " الشاوية " كما

---

[160] المرجع نفسه ، ص. 13.

[161] ألكسندر أكنوكس، " الملعب الجديد " أو " جولات في الجزائر ":

the New play Ground of Wandering in Algerie By Alexander A. Knox. Kegan paul Paternoster Squere, London, 1881.

[162] المرجع نفسه، عبد الله الركيبي، ص. 13.

[163] أنظر، المرجع نفسه ، عبد الله الركيبي، " الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز "، ص. 14.

[164] أنظر، المرجع السابق، عبد الله الركيبي، " الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز "، ص. 14- 17.

[165] " هيلتون سيمبسون " : له عدة كتب منها: " بين سكان التلال في الجزائر " و " رحلات إلى الشاوية " و " في جبال الأوراس ".

ذكر، وقد تفرغ لذلك طيلة السنوات المذكورة باقتراح من جامعة " أكسفورد " كي يقدم لها بحثا ضخما يقع في مئات الصفحات يسجل فيها ما شاهد ويحلل الأوضاع كلها هذه الناحية من الجزائر، فيعرض للجغرافية وتضاريسها وإلى الشؤون الاجتماعية والدينية والفلاحية وإلى التعليم التقليدي وأثر الإسلام في نفوس السكان، وحين يصف الطبيعة في فصول كثيرة يركز على وصف الشتاء وخاصة لأنه قضى مع زوجته وقتا عصيبا في ذلك الطقس البارد، حتى سكن في الأكواخ وفي المنازل الحجرية، وتحمل قساوة الطبيعة حيث تغضب فينهمر المطر وتتساقط الثلوج في شتى أنحاء الأوراس[166].

تعد هذه الرحلة مصدرا عاما للباحثين والمؤرخين والجغرافيين لأنها تقدم معلومات دقيقة.

ثالثا: الرحالات التي تعاطف فيها أصحابها نسبيا مع الجزائر.

إن هذه الكتابات كتبوها بفهم ووعي كبيرين مثل:

أ- " بسكرة بداية الصحراء " للمؤلف س- ه. ليدر.

ب- " جولات في الجزائر العاصمة وما حولها " للمؤلف ل- ج. سيقوين[167*] H -G. Seguhn.

ج- " الصحراء ملاذا " للمؤلفة ايديت هالفورد نيلسون[**] Edith Halford Ne lson التي تحدثت عن ثورة الأوراس عام 1916.

رابعا: الرحالات التي تعاملت على الجزائريين وساندت الفرنسيين.

أيدت نفوذهم وسياستهم بدعوى نشر الحضارة والتقدم في الجزائر وهي كثيرة مثل:

أ- " الجزائر على حقيقتها " للمؤلف م. د ستوت M. D STOTT[168].

Among the Hill fold of Algeria. journeys the Shawia of the Aures Monntains. M. w. Hilton. Simson. London. t Fisher unwin ltd. 1921.

[166] أنظر، المرجع نفسه، عبد الله الركيبي، ص. 17-18.

[167] * ل- ج. سيقوين، " جولات في الجزائر العاصمة وما حولها "، ترجمة عبد الله الركيبي.

** ايديت هالفورد نيلسون، " الصحراء ملاذا "، ترجمة عبد الله الركيبي.

Desert Sancturary- by Edith Halford Ne lson skedling ton And son LTD, London, S-W-7.

[168] مـ - د.ستوت " الجزائر على حقيقتها، ترجمة عبد الله الركيبي إلى العربية.

ب- " افريقيا المستنيرة " للمؤلف ه- ت كيني H. T KEENY[169].

ج- " الجزائر اليوم " للرائد ق وردون كاسلي GORDON CASLY [170].

د- " في إفريقيا الفرنسية " مشاهد وذكريات بيتم ادوارد MISS BETHEM EDWARD[171].

ه- " بلد القراصنة " للمؤلف إكسان فليدنج[172].

و- " الملعب الجديد " أو " جولات في الجزائر " للمؤلف ألكسندر أ. كنوكس.

إنّ هذه الرحالات السابقة الذكر على كثرتها تحتوي على رسوم وصور للمدن الجزائرية منذ القرن الماضي وحتى العصر الحديث، بل هناك صور حتى للقرى الصغيرة واللوحات الصحراوية المتنوعة وبعض الأشخاص[173].

ولهذا من الواجب علينا أن نولي عناية كبيرة للمؤلفات التي كتبت عن الجزائر، وتاريخها وثقافتها بجميع اللغات. والدولة مسؤولة عن هذا مثل المثقفين والباحثين.

" إنّ هؤلاء الكتاب الانجليز وغيرهم جاءوا إلى بلادنا في فترات كثيرة طيلة قرون وألفوا عن حياتنا ومجتمعنا ولم نقرأ ما كتبوه فضلا عن تحليله، ألا يعد هذا تقصيرا في حق أنفسنا ووطننا وتاريخنا، وحق الأجيال علينا؟ ومهما كان الأمر فإنّ هذه الرحالات والكتابات التي عرضت إليها مهما كتبه الكتاب الغربيين تعطينا فكرة عن نظرتهم

THE Real Alegria by: M. D STOTT. hurot and black et linhdet, London, 1914.

[169] ه - ت كيني " افريقيا المستنيرة " ترجمة الأستاذ عبد الله الركيبي.

In lightest Africa by H. T keeny. London, 1935, Jonh Murray. Albelarle. STREET- W.

[170] قوردن كاسلي، " الجزائر اليوم ":

ALGERIA TODAY. Lient- col. Gordon casly. F.R.G.S, Societe de Geographie d'Afrique du nord. T-wenser lauvie. L.T.D, London, the Northeumol and presse Linted Tronton Street New castle-on- tyne.

[171] الآنسة: بيتيم ادوارد في " إفريقيا الفرنسية" (مشاهد وذكريات)

In Frensh Africa by Miss Bethem Edward (scenes and Memorys), London champman and HALL. L.T.D, 1912.

[172] اكسان فليدينج " بلد القراصنة "، ترجمة وتحليل الاستاذ عبد الله الركيبي:

The traval Book club, 121 charing Gross Roud, London, 1958.

[173] المرجع السابق، عبد الله الركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، ص. 19.

وتدفعنا إلى احترامهم حتى ولو اختلفنا معهم، يكفي أن يثيروا فينا الفضول لنطلع على إنتاجهم الذي يهمنا بالدرجة الأولى قبل غيرنا "[174].

- ولعلى هذا الجهد يدفع باحثينا وكتابنا ومثقفينا إلى أن ينقبوا عن مثل هذه الكتابات ويبرزوا تعاطف أصحابها معنا أو عدمه، ففي تصوري أنه لا توجد عداوة أو ماض مؤلم بيننا وبين الانجليز هو شأن مع غيرهم.

إن قراءة كتبهم هذه قد تدعم علاقتنا معهم مستقبلا مثلما فعل مستشرقوهم في العقود بل وفي القرون الماضية، بصرف النظر عما أطلقوا من أحكام قاسية أحيانا عن تاريخنا وحضارتنا وعقيدتنا.

ومع هذا كله احتفلوا بالتراث العربي الإسلامي واستخدموا مناهج أفادت باحثينا في الكشف عن كنوز الثقافة العربية والاستفادة من الحضارة الغربية أيضا، وقد بدأ الغرب اليوم يعترف بدور الحضارة العربية الإسلامية في تقدم الإنسانية، وبدور العلماء والفلاسفة العرب والمسلمين، وبدور المؤرخين والجغرافيين وغيرهم في الإشعاع على العالم[175].

كما اعترف العرب والمسلمون قديما بما قدمته الحضارة اليونانية للفكر العربي الإسلامي فإننا نعترف اليوم بما استفدناه من الحضارة الغربية من علوم وآداب وتقنية ومعارف تبقى فوق الأجناس والعقائد والجغرافيا والتاريخ، فنحن محكومون بأن نعيش فوق هذه الأرض بلا حروب أو عداوات أو عنصرية حتى نجنب الأجيال القادمة آلاما قطيعة كالتي زرعتها الحروب الصليبية أوجدها الاستعمار الغربي الحديث وبهذا وحده نزوع المحبة والسلام بين كافة البشر[176].

3: الجزائر في الشعر الروسي.

إنّ الشعر له أهمية كبيرة في التواصل الحضاري بين الشعوب، لما يحمله هذا الإغواء السحري من مكنون روحي هائل وأبعاد إنسانية لا حدود لها.

[174] المرجع نفسه، ص. 20.

[175] المرجع نفسه، ص. 20-21.

[176] المرجع السابق، ص. 20-21.

" الشعر هو رسالة جمالية تبشرية قبل كل شيء رغم إغفال أغلب الدارسين والباحثين لهذا الجانب المهم في صيرورة العلاقات بين الشعوب، لأنّ كل شيء يختفي ويندثر في النهاية إلا الكلمة فستبقى إلى الأبد".[177]

من هذا المنطلق سنحاول تقصي ما كتبه الشعراء الروسيين عن الجزائر، لنرى كيف نظر هؤلاء إليه كبلد عربي شرقي أولا، ومن ثم كبلد إفريقي صحراوي، حتى نستطيع التعرف على هذا البلد الغالي علينا جميعا، من خلال نظرتهم، التي تختلف طبعا عن نظرات الآخرين من ممثلي هذا النوع النخبوي من الإبداع العالمي.

" تتمحور مواضيع الأشعار الروسية عن الجزائر حول عدد من الأشياء والمواضيع غير المألوفة والغريبة بالنسبة للإنسان الروسي، الذي يعيش في عالم بعيد ومختلف تماما عما هو في الجزائر...رحابة وفضاء واسع من السهول والغابات الخضراء والأنهار والبحيرات الكبيرة التي زاروها".[178]

تعددت أغراض الشعراء من زيارة عمل مثل (أليكس بافلوف) والإقامة الدائمة (غالينا عبد العزيز، فيرا قاسم، تاتيانا طالب) إلى طقوس وأجواء وطبائع جديدة: البحر المتوسط الأزرق الدافئ والصحراء التي تكون السلطة فيها للشمس أولا ".[179]

في البداية قد نستغرب من الذي يمكنه أن يقرب بين هذين البلدين المختلفين كليا، لكن ما إن تدخل العوالم الشعرية وأرواحها وكلماتها وحروقها، حتى تجد أشياء كثيرة مشتركة في الجوهر والمضمون، لكنها مختلفة بالشكل أو اللون أو التسمية...دون نسيان أن الجزائر العاصمة هي شقيقة موسكو.[180]

" إذا غصنا في أعماق التاريخ فسنجد أن الطبيب الروسي أرتيمي الكسيفيتش فالوفيتش (1816 - 1851) وأستاذ مادة الطب الشرعي في ليسيه ريشيليفسكي بمدينة أوديسا

---

[177] نشر هذا اللقاء كاملا في جريدة " إزفيستيا " (2008/02/19)، وعرض على شاشة قناة روسيا الحكومية " راسيا "، تر: الدكتور علي حافظ: دكتور في علوم اللغة وآدابها وأستاذ سابق في كلية الصحافة بجامعة روستوف الحكومية (روسيا الاتحادية).

[178] د علي حافظ، أشعار روسية عن الثورة الجزائرية والجزائر، الرمل والثلج، منشورات البيت، جميع الحقوق محفوظة، طبع بمطبعة دار هومة، ص. 06.

[179] المرجع السابق، د. علي حافظ، أشعار روسية عن الثورة الجزائرية والجزائر، ص. 06.

[180] أنظر: المرجع نفسه ، علي حافظ، ص. 07.

الساحلية، هو أول روسي يزور الجزائر عام 1845، وذلك لدراسة وباء الطاعون والكوليرا...ورغم أن رافالوفيتش كان مشغولا بملاحقة مرض الطاعون، إلا أنه-في الوقت نفسه-وجه اهتمامه إلى الميزات التصنيفية والمناخية والأثنروغرافية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد التي زارها".[181]

فيما يخص الرحالات إلى الجزائر " يسافر الأديب الروسي الشهير والحاصل على جائزة نوبل ايفان بونين (1870 -1953) إلى أوروبا عام 1900، ثم يتحقق حلمه بالوصول إلى مياه البحر المتوسط الدافئة، إذ يكتب في سيرته الذاتية: " زرت تركيا عدّة مرات عبر شواطئ آسيا الصغرى...كذلك قمت برحلة إلى مصر، حتى إن المصير قادني إلى مدينة النوبة...ثم انعطفت غربا وزرت وهران والجزائر وقسنطينة، لأصل في نهاية المطاف لإلى الصحراء الكبرى".[182]

" في خريف 1908 يصل الشاعر نيقولاي غوميلوف (زوج الشاعرة الروسية الشهيرة أنّا أخماتوفا) إلى إفريقيا لأول مرّة، ثم تكررت زياراته ليترأس عام 1913 بعثة أكاديمية العلوم الروسية الاستكشافية نحو إفريقيا...هذه الرحالات، إضافة لمعرفته الرصينة بالتاريخ والجغرافيا، تركت أثرا إيجابيا كبيرا على إبداع غوميلوف، فقد توسعت دائرة معارفه ومواضيعه، واغتنت لغته بكلمات ومصطلحات وصور جديدة، ما ساعده على بلورة صوته

الشعري الفريد وحضوره الكاريزمي من خلال إطلاقه لـ " ورشة الشعراء " وتنظيره لحلقتهم الأكمييزمية (الأوجية الشعرية) ".[183]

زار نيقولاي غوميلوف الجزائر، ولكن غير معروف في أية رحلة أو في أي عام.

- ولذلك سنحاول أن نقدم بعض النماذج الشعرية التي تعطي صورة عن الجزائر وضواحيها.

- نيقولاي غوميلوف: H NKOIAIN. TYMNJEB

***** الجزائر *****

سممت أوروبا القديمة الجزائر

[181] أنظر: المرجع نفسه، علي حافظ، ص. 07

[182] المرجع نفسه ، علي حافظ، أشعار روسية، ص. 09.

[183] المرجع السابق، ص. 10.

- اليتيمة

- البريئة

- الشريدة

في قيظ افريقية.

يمتد رأس اليابسة البديع منحنيًا

باتجاه ايطاليا البعيدة.

وترقد هناك تونس-أخت الجزائر- الحزينة!

وهنا، كما في الماضي،

تقف أبراج الأبنية وأروقة القصور الرومانية

راسخة أمام عصف الريح.

عند السواحل الشديدة الانحدار

وفي المرج الأخضر

تشرأب الأعناق الزيزفون والدّردار

كما هي على الشاطئ الآخر.

كنا نخاف هذه المنحدرات الصخرية

عندما استوطنت هنا.

سفن القراصنة الهمجيين!

أدميت الأمواج.

وتوسل سيرفانتس[184*] السماوات الحارة.

حيث راح الفرنسيون يتلذذون

بمزيج الأبسينت[185] المثلج.

ينظر البدو.

الذين يحترمون الأجانب،

---

184 * الكاتب الاسباني ميغيل دي سيرفانتيس (1547 - 1616) عائدا مع أخيه من نابولي إلى بلده اسبانيا، ليهجم عليهم القراصنة ويجرحونه في معركة قرب ليبانتو (1571) يقع على أثرها في أيديهم ويساق مكبلا إلى الجزائر، ليمضي هنا خمس سنوات في الأسر.. حاول الهرب ثلاث مرات، لكن كل محاولاته باءت بالفشل عام1580.. ربما أوحت له هذه الحادثة بكتابة رائعته الأدبية **" دون كيشوت "** التي طبع الجزء الأول منها سنة 1605.

185 Absinthe، مشروب كحولي يصنع من منقوع نبات الشيح.

إلى الحلويات الأجنبية
عبر الواجهات الكبيرة
لكن الجنوب الحالي
كشّر عن أنيابه للشمال،
وأسراب الرمل الأحمر
مازالت تزحف من الصحراء.
بدلا من الأكواخ - قبور
بدلا من البحيرات- خنادق!!
تتراجع القبائل
ثم تنقض كالأسود!!
الأبيض هو السعيد فقط
حيث يصارع جميع الأعداء
ويحفر الآبار زارعًا النخيل في كل مكان
ويخرج للقاء هذه السحب الجافة
كما يخرج الفارس لقتال ثعبان عملاق!
وكما تحافظ الصبايا الرقيقات
عن الذهب القديم
قمن بإنقاذ الزراعة
في هذه الحقول الهادئة.[186]
طامعا بالحرية !
لكن أيام الباي الجزائرية
اختفت منذ زمن،
وأخضعت تونس الضعيفة
بعد الجزائر.
تتذكر التحالفات القديمة مع هذا البلد
وكيف احتل الفرنسيون المنطقة.

---

[186] المرجع السابق، علي حافظ، ص. 22.

ضامين إياها لميراثهم !!

هذه الأودية أصبحت الآن

مأوى للألعاب

والأغاني،

والمسيحيون لن يصطدمونا بعد الآن

يجرف القسطنطينية

بخنجر الانكشاري في المنحنى

لن يقطع رؤوسهم

وبرصاصات جيرار[187] سقط الأسود.

في البلد الذي تحول إلى حديقة ساحرة،

والممنوع حتى الآن،

أزهر العنب مرة أخرى..

بين حقول الذرة نهضت المدن[188].

ـ كاسحو الألغام السوفيية في الجزائر[189]:

سار الجندي السوفيتي عبر أراضي الجزائر...

وصل رسول الدولة العظمى

إلى خط النا البعيد الشاق

من أجل أن لا يعلو الصدأ سكة المحراث

وكي تعود الحياة للأرض الميتة..

خلص فتية خميلنسيك وسيبيريا

الحقول من مصائب المستقبل

لتنظر سماء الجزائر في أثرهم

بنور أقوى

---

[187] تعبير مجازي، يقصد به الكونت والمارشال الفرنسي ايتين موريس دي جيرار (1773. 1852).

[188] المرجع السابق، علي حافظ، ص. 21.

[189] نشرت هذه القصيدة بمناسبة عيد الجيش السوفييتي، مترجمة من اللغة الأوكرانية في "الجريدة الأدبية الصادرة بمسكو 23 شباط، 1985، العدد 23 (4919).

وامتنان أكثر...

ترتفع رؤوس السنابل شامخة باتجاه الشمس

في الأرض المنزوعة الألغام،

وفي الأبعاد المضيئة

غنّوا لمجد عساكر التاريخ..عساكرنا- الأطباء

معالجو جروح الأرض الخطيرة.[190]

في القصيدة الأولى لغوميلوف " الجزائر " نجد أنه قد دمج بين عنصر التاريخ والجغرافيا والمناخ والطبيعة والأسطورة والواقع/ ما جعل هذه القصيدة تبدوا سردية هجينة لا تبتعد كثيرا عن القص.

وفي القصيدة الثانية تحت عنوان " كاسحو الألغام السوفيية " للشاعر الأوكراني المجهول يعيدنا الشاعر إلى معركة الألغام الجزائرية، تلك المعركة التي كان يختفي فيها الموت على مسافة مئات الكيلومترات بين صفوف الاسلاك الشائكة الصدئة.، انتشرت الألغام في كل مكان، في الأودية والحقول والمستنقعات فقد كان هناك 9000 - 11000 ألف لغم أو مخبئ في كل كيلومتر مربع.

" لقد قرر المستعمر الفرنسي (من باب الوداع) أن يحصر الجزائر في عتبة الموت، بحيث لم يكن يوسع السكان المحليين أن يبطلوا مفعول الألغام، بسبب نقص المعدات والأدوات والخبرة.. أن يبطلوا مفعول الألغام بسبب نقص المعدات والأدوات والخبرة.. كذلك طلبت الشركات الغربية مبالغ طائلة، في حين قبلت الحكومة السوفيتية آنذاك، أن تنظف مجانا أرض الجزائر من هذه البؤر السرطانية المميتة، وعهد بهذا العمل الأممي إلى متطوعين شبان من المحاربين السوفييت القدامى في سلاح الهندسة، لقد فقد الكثيرون حياتهم أو أعضاء من أجسادهم جراء هذه العملية الخطيرة ".[191]

غالينا عبد العزيز:

*** زيارة رسام***

خيّل إليّ مرة أدخل بيتك

---

[190] المرجع السابق، علي حافظ، أشعار روسية عن الثورة الجزائرية، والجزائر.

[191] المرجع السابق، علي حافظ، ص. 11. للتذكير: إنّ هذا الكتاب هو هدية من وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى 50 لعيد الاستقلال.

وعلى الجدران مدينة بيضاء[192]

توارت بقع نورها في مياه البحر

هنا الألوان لا زوردية

وقبة السماء تتنفس قيظًا

نظرة خاطفة من عيون شهرزاد

تطير العقل !

شوارع القصبة أدراج معوجة

تأخذك إلى البعيد

والنساء يسعن إلى مكان ما

مغطين وجهن بالحجاب

عند باب الواد القديم

- المعلق على الجبل -

وعلى وقع صيحات النوارس

وفي انعكاس الزرقة

تجمدت نوتردام دافريك[193]*

بين خضرة الأشجار الكثيفة

تصخب الفتيات أفواجا

وأقراص عباد الشمس

تحني لنا رؤوسها كالشمس

هنا تغني لنا الروح المفعمة بالحياة

وهنا تبدع الريشة الأعاجيب،

أما وراء الباب فالمدينة بيضاء

بيضاء بأسطحها تحت السماء[194].

---

[192] يطلق على الجزائر العاصمة لقب المدينة البيضاء أو جزيرة النوارس (إيكوسيوم - Ikosuim)

[193]* كنيسة " نوتردام دافريك "في شباط عام 1858، ومبادرة من المطران باغي والراهباتأن سانكان وأغاريت بيرجي بدأت أول الأعمال في تنفيذ مخطط هذه الكنيسة ذات البيزنطي.. ولم ينته العمل فيها إلا عام 1892.

[194] المرجع السابق، علي حافظ، ص. 31-32

علاقة افتراضية

في السبت الماضي قال لي المنجمون
أن أرواح أصحاب برج القوس
قد أصابهم تشوش جنوني
وإنه يجب الابتعاد عن البيت
في رحلة أسبوعية
بداية سأسافر إلى بطرسبورغ
وعلي أن لا أنسى جاكيت الصوف
هناك تنتظرني القصور والمسارح والنافورات والإرميتاج
وإذا شعرت بالتعب
فلا أخفي عليكم أني سأذهب ليلا إلى شارع نيفسكي[195]
وأشرب بكل ما في وسعي من قوة..
عبر الأثير الافتراضي دعاني بطرس الأول بنفسه*
للغذاء يوم الأربعاء في " المطعم الأوروبي "،
ومن ثم- على ما يبدو- سأسافر إلى مدينة فيرني..[196]
هناك تفاح كثير وبهرجة في البازار
ليس عبثا أن تسمى هذه المدينة المحاطة بالجبال
وفي كل مكان من كوكبنا
بآلما - آتا !
أباي كاتب كبير**
أقين رئيس الأثير الافتراضي[197]

---

[195] نيفسكي: الشارع الرئيسي في سان بطرسبورغ.

* بطرس الأكبر (1672 - 1725): قيصر روسيا الأول الذي قام بإصلاحات واسعة تناولت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، استطاعت أن تنقل روسيا إلى حيز الدول الأوروبية المتقدمة.

[196] فيرني: التسمية القديمة لعاصمة جمهورية كازاخستان السابقة، والتي تغيرت عام 1921 لتصبح آلما-آتا.

** أباي كونانبايف (1845 - 1904): شاعر وموسيقي ومترجم ومنوّر.. يعد أحد مؤسسي الأدب الكازاخي المكتوب.. وقف بأشعاره الوجدانية والساخرة ضد الشرور الاجتماعية والتخلف والعادات القديمة البالية.

[197] أقين: شاعر ارتجالي، ومغن الأشعار الشعبية عند شعوب آسيا الوسطى المتكلمين باللغات التركية.

وعدني بأن يوقع لي كتابه..

سأتواصل معه عندما سأتنزه في ميديو! *

ها أنا أسافر مرة أخرى

كما أشار المنجم منذ وقت قصير:

العاصمة في الأمام

فكيف لك أن لا تحبها !

وكذلك عليّ أن لا أنسى زارايسك[198] وخولم.[199]

كم هو رائع أن يكتظ الكون بكل هذه الدروب !

كما هو رائع أن الأصدقاء الأحباء ينتظرونك في مكان ما !!

أنا الآن جالسة في الجزائر.

كما لو أنني في بامير[200]

ألاحظ بانتباه

ومنذ عشرات السنين[201]

إنّ قارتنا الطيبة تقترب ببطء من أوروبا

وبدقة متناهية..

صدقوا- هذا كلام مهندس!

أجل لقد تغير المناخ واتسخ كثيرا

قولوا لي أي ثياب يجب أن أرميها؟

عبر الأثير الافتراضي قال لي عبد القادر[202]

أن الصيف هنا سيكون حارا بشكل كابوسي

ترديد؟

---

* ميديو: أحد أكبر مجمعات التزلج على الجليد في العالم، والذي تقع بالقرب من مدينة آلما-آتا العاصمة السابقة لجمهورية كازاخستان.

[198] زارايسك: مدينة في ضواحي موسكو.

[199] خولم: مدينة تابعة لقضاء نوفغورود الروسي.

[200] بامير: سلسلة جبلية في آسيا الوسطى.

[201] المرجع السابق، علي حافظ، ص. 34، 35.

[202] يقصد به الأمير عبد القادر.

آه منك أيتها الحياة التي تشبهين محطة القطارات
أين قاعة الانتظار غرفة ضخمة!
لا يوجد قدرة على الصبر.. اللوحة واقعية
والاتصال الافتراضي سيساعدكم
مؤمنا لكم بطاقة سفر مجانية[203]!

في " زيارة رسام " لغالينا عبد العزيز المقيمة في الجزائر، تجد كل ألوان الصيف وجمال الطبيعة والمكان، حيث لا تتركك لحظة واحدة من أسر الخيال " لتنتقل بك إلى حالة شعرية أكثر حداثة معالمها في الأفق المستقبلي، حيث يمر الحلم سريعا عابرا أشخاصا ومدنا وأماكن محببة للشاعرة "[204].

4: استنتاجات

نخلص في ختام هذه الدراسة التي توسمت برسم تمظهر صورة الجزائر بمختلف مؤثراتها وأطيافها، الاجتماعية والطبيعية والسياسية وغيرها في أدب وكتابات الغربيين إلى ما يلي:

إنّ مجالات الدراسة والاشتغال على حقل الصورة في ميدان الدراسات المقارنة وقفنا على مدى استحكام المخيال الاجتماعي من خلال ثنائيتي الأنا و الآخر في تجلي صورة الأجنبي في أدب الذات أو العكس، وذلك بناء على مرجعيات معينة، أو تصورات سابقة تأخذ مناحي عدّة: تاريخية، ثقافية، اجتماعية...الخ، وهذه المرجعيات التي تتحكم في توجيه صورة ، وقدمنا في هذا المجال بعض الأمثلة على ذلك.وهناك كذلك قنوات ووسائط معينة تساهم في تبلور الصور خاصة لبعض النصوص المنقولة التي تتم من ثقافة إلى أخرى عبر قلم الترجمة الذي يقدم شبه صورة فوتوغرافية للأدب والثقافة والبلد المرجم عنه وعادة ما كانت الترحمةحافزا لدى العديد من الادباء الشعراء والمفكرين على القيام برحلات لاستكشاف ثقافات مختلفة والاحتكاك بالشعوب لطالما كان ينظر إليها بنظرة الآخر، وأتينا بنماذج عن رحالات قام بها أدباء ورحالة

203 المرجع السابق، علي حافظ، ص. 35، 36.
204 المرجع نفسه ، ص. 11.

غربيون لاستكشاف عمق الشرق الساحر بدءا من القرن التاسع عشر ميلادي إلى غاية القرن العشرين ميلادي، وما تبع هذه الرحلات من مسحة غرائبية وفنية بجمال الشرق الساحر.

إضافة إلى رحلات المستشرقين الذين قصدوا بلاد الشرق وعاشوا بين أهليها ومنهم من دان بديانة أهلها ودفن في جوف ترابها، ولهذا نقول أنّ الدراسات الاستشراقية ليست كلها بريئة دافعها دراسة الحضارة الإسلامية وعلوم العرب، بل كان لها امتدادات تحيل إلى خدمة أغراض استعمارية.

وإذا تكلمنا عن صورة الجزائر في أعمال وكتابات الأديب الفرنسي ألبير كامو، فكان لها مرجع في حياته، في سياق ظروف نشأته الاجتماعية، حيث تظهر صورة الجزائر في هذه الكتابات التي تحددت وتفرغت بين مجالات الرواية و القصة والمسرح والمقامة، وغيرها فـأتينا على ذكر الأعمال والكتابات التي تناولت الجزائر فقط دون غيرها وتوصلنا في هذه النقطة إلى أن الجزائر تكاد تكون السمة الغالبة على كتابات كامو الأدبية، والإبداعية والنقدية وكانت حاضرة بكل أطيافها ومكوناتها: بشمسها، وبحرها وصحرائها، وجبالها، بسهولها وتلالها، بمدنها وأريافها، بأحيائها وشوارعها، بمقاهيها وحاناتها وعماراتها، بشخوصها البشرية وعاداتها وسلوكاتها...

وبالنسبة للمشارب الفكرية لكامو وعلاقته بالجزائر، أين كان لتيارات ومذاهب: الفوضوية، العبث، التمرد، اعتقاد الديانة الطبيعية وموقف الشك من الديانة المسيحية، أثر في التركيبة الفكرية التي غذت هذا الأدب وربطت جسوره مع الجزائر.

وتوصلنا في ذلك إلى أنّ هذه التيارات التي كان بعضها يمتد بجذوره إلى الفترة الأولى منذ طفولة كامو، كان لها بالغ الأثر والفعل العميق في تكوين شخصية كامو الأدبية والفكرية والتي لازم بعضها هذا الأخير إلى غاية وفاته.

وخلصنا في تحليلنا لمظاهر وصور العلاقات الإنسانية في أدب كامو إلى أنه في أغلب قصصه ورواياته يتجنب الحديث عن العرب، فهو يهمشهم ويتناساهم، وإذا ما كان هناك حضور لشخصيات عربية فإنّها سرعان ما تختفي من مشهد الرواية أو القصة، بل يصل به الأمر إلى حد وضعه في موقف القتل المفاجئ في رواية الغريب، واختفائه في الطاعون، وظهوره النادر والنسبي في قصصه الأخرى، دون أن يمنحه اسما أو هوية، بل يتركه مجرد جماد أو مكمل ديكوري.

أما بالنسبة لصورة الجزائر في أدب " جون بول سارتر " فقد صاغتها العديد من المؤثرات السياسية والثقافية، والاجتماعية في حياة هذا الأديب، والكتاب الفرنسي، استطعنا أن نستشفها من تتبع ظروف نشأته، ودراسته وتنقلاته، وكذا احتكاكه بالطبقة المثقفة المعاصرة له، وتوصلنا إلى نتيجة مفادها أن سارتر وقع تحت التأثيرات والسياقات ذاتها التي خضع لها كامو، مع اختلاف من حيث الطبيعة. ولذلك كانت مواقف سارتر تنبع وتستمد مشروعيتها من السياقات التي خضع لها، ضف إلى ذلك المشارب الفلسفية والإيديولوجية التي احتك بها سارتر، نتيجة ربطه بعلاقات مع العديد من المفكرين، والأدباء والفلاسفة.

كما كان لمؤلفاته الأدبية والنقدية والفلسفية لها علاقة بالجزائر وتبلور قضية الالتزام الأدبي التي طبعت مواقفه الصارمة من مختلف الأحداث التي عاصرها وسايرها، وخلصنا في هذا البحث إلى أن الأدب في منظور سارتر يجب أن يكون في مستوى التغيير الذي يصاحب الواقع، وينبغي أن يتحقق التغيير انطلاقا من هذا الأدب الذي يصنع الواقع بما يحدثه من تغيير في نظامه، ويكون ذلك إذا نزل الأدب إلى حياة العامة وتغلغل في أدق التفاصيل، في حالات السلم والحرب، وبهذا يتخذ الأدب لديه مفهوم: أدب المبادئ أو أدب الالتزام الذي انعكس بشكل جلي وواضح في موقفه من الثورة الجزائرية فيما بعد.

وهناك العديد من المرجعيات التاريخية لصورة الجزائر في الفكر السارتري التي أخذت طريقها إلى فكره وهو ينشد قيم العدل والسلام ومعاداته لأعداء الحرية الإنسانية، ورأينا أن تأسيس المرجعية التاريخية لصورة الجزائر لديه منبعها، وهو فكرة الالتزام الأدبي والشخصي ينبذ كل ما يتعارض مع حرية الإنسان التي هي أسمى ما في الوجود وتشدان قيم العدل والسلام بين بني البشر.

وتظهر صورة الجزائر في كتابات سارتر من خلال مجموعة من النصوص والمقالات التي كتبها متناولا " الثورة الجزائرية وقضية التعذيب التي استنكرها في كتاب حمل عار ووزر فرنسا التي تعدت على حق من حقوق الإنسان ألا وهو العيش في كنف الحرية والسلام، وكتب في بعض مقالاته عن معاناة وحالة الإنسان الجزائري آنذاك.

إن غاية الرحالة والأدباء والكتاب في تأليفهم لهذه الكتب هي في أغلب الأحيان الدرس والتشويق، لأن مصالحهم اقتضت دائما قطع كل صلة تربط الجزائر بماضي الأجداد ، ولذلك نجد المؤلف يحدد مهمته من خلال هذا العمل في المشاركة في إعادة كتابة

التاريخ بالمادة بما أنه يتقن لغات عديدة، وتتم مشاركته عن طريق عرض النصوص المكتوبة بهذه اللغة وتقديمها للمؤرخين المتخصصين لتقويمها ومقارنتها مع نصوص أخرى وفحص مدى صحتها وموافقتها للوقائع التاريخي، وهنا نجد أن الرحالة الغربيين نقلوا إلينا صورا عن العادات والتقاليد والآثار والشواهد الدينية مثل المساجد وغيرها، وحتى أنهم درسوا نفسية الشعب الجزائري والتطورات التي تطرأ عليه، ونقلوا إلينا مشاعرهم نحو الجزائر والتي تتراوح بين الإعجاب والخوف والحقد، مع كل هذه الأحاسيس مجتمعة، تساعدنا على فك شفرة نظرة هؤلاء تجاه الجزائر كمواقف تاريخية وسجل لتاريخ البلاد وهناك من قدّم لنا معلومات علمية مفصلة عن البلاد وجغرافية وتاريخية مثل الرحالة الألماني موريتس فاغنر.

وهنا نجد أن بعض الرحالات التي قام بها أدباء ورحال غربيين لأغراض معينة مثل التجسس ومعرفة خصوصيات المجتمع الجزائري وأسراره، وكان التوغل داخل البلاد ليس بسبب الفضول وإنما لأهداف عسكرية سياسية بحتة.

ولذلك نقول أن صورة الجزائر وضواحيها في كتابات الأدباء والرحالة والشعراء الغربيين قد اتسمت أكثرها بالطابع الإخباري والتسجيلي، المعرف بالجوانب الجغرافية والتاريخية خصت المكان والإنسان، قد تظهر للمعاصرين اليوم غير ذات بال، ولكنها في زمانها، وبالنسبة للمواطن الأوروبي كثيرة الأهمية، مفيدة للذين كانوا يحملون مشاريع الإقامة بالجزائر مستقبلا، أو الذين كانوا يحملون مشاريع الإقامة بالجزائر مستقبلا، أو الذين كانوا يفكرون في إنجاز رحلات نحو الجزائر، لكن هذه الصورة لم تخل مواضيعها الخاصة من الذاتية، لتنتسب إلى حقل الخيال، وتحمل انطباعات غير بريئة، وأحكاما خاطئة عن البلد وأهله.

خاتمة

خلاصة القول أن الصورة قد استطاعت أن تفتك لذاتها حضورا قويا في مجالات البحث الأدبي المقارن، بما اتسمت به من طابع استراتيجي من المدخلين الاجتماعي والسياسي، فضلا عن البعد الفني والجمالي فيما يتعلق بمسألة تمثيلها، وتشكيلها عبر المتخيل لدى الآخر، غير أن هذه الصورة قد تكون سلبية مخلوطة تحتاج إلى مراجعة، بحكم الملابسات الاجتماعية والسياسية التي عملت على صياغتها من أجل ترسيخ تصور ما، لخدمة أغراض خاصة وأطماع أكثر خصوصية، ولكي تتشكل الصورة وتحقق حضورها في متخيل الآخر، هناك عدة وسائط تعمل على ذلك خاصة الترجمة التي تنقل الأفكار والرحلات الميدانية والاستشراق، ولكي نقتحم هذا المجال من الموضوعات بالدرس والتحليل، هناك منهجية لابد من اتباعها، حيث جربتها العديد من المحاولات في الجزائر التي يمكن أن تصنفها دراسات تعني بصورة الذات في مرآة الآخر أو العكس، سواء تعلقت بالمكان أو الإنسان، وفيما يخص صورة الجزائر في المتخيل الغربي فقد سجلنا أثرها على مستوى الفكر والأدب، دلالة على امتداد هذا الأثر ليشمل شتى أشكال التعبير والتصوير.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، برواية ورش، دار بن كثير، الطبعة 11، 2003.

- المصادر:

1- أبو عبد الله العبدري، رحلة العبدي، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق،
الطبعة 2، 2005.

2- ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، 1992.

3- الجاحظ، كتاب الحيوان، ج 3، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965.

4- حنا غالب، كنز اللغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2003.

- المراجع العربية

1- إبراهيم الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ط، 2000.

2- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 - 1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1975.

3- أبو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط2، 1982.

4- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، النهضة المصرية، القاهرة، ط 10، 1994.

5- أحمد حامد، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1991.

6- أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2007.

7- أحمد منفور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية، 1945-1962، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2008.

8- أحمد منور الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

9- إدوارد سعيد، الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1981.
10- ألكسندر أمر، النقد ونظرية الأدب السارتيرية سارتر مفكر وإنسانا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1967.
11- بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، 1992.
12- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، 1992.
13- داود سلوم، الآداب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
14- سعاد حرب، الأنا والآخر والجماعة، دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1994.
15- سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر (دراسة أدبية نقدية)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، 1967.
16- سعيد علوش، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي، دراسة مقارنة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1986.
17- عبد الرحمن بدوي، دراسات في فلسفة الوحودية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1992.
18- عبد السلام بن عبد العالي، حوار مع الفكر الفرنسي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2008.
19- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة،
20- عبد الكامل جويبة، قضايا الثورة الجزائرية في مجلة الآداب البيروتية (1954 - 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016.
21- عبد الله التطاوي، الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، ج 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1997.
22- عبد الله الركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، ج 1، دار الحكمة، 31 شارع ديدوش مراد، الجزائر العاصمة، د ط، 1999.

23- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2009.
24- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
25- عز الدين المناصر، النقد الثقافي المقارن، منظور جدلي تفكيكي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005.
26- عفاف سيد صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 2، 1997.
27- علي حافظ، الرمل والثلج، أشعار روسية في الثورة الجزائرية والجزائر، د ط، دار هومة، الجزائر، 2012.
28- عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1995.
29- فاروق القاضي، آفاق التمرد، قراءة نقدية في التاريخ الأوروبي والعربي الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مركز البحوث العربية والإفريقية، بيروت (القاهرة - لبنان) مصر، ط1، 2004.
30- فؤاد شاكر، حصاد القرن العشرين، الإبداعات الأدبية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 2005.
31- لطفي فام، المسرح الفرنسي المعاصر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د، ت، ط).
32- ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن- دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000.
33- محمد أزرقي فراد، إطلالة على منطقة القبائل (ألبير كامو وبؤس القبائل، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
34- محمد التونجي، الآداب المقارنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1995.
35- محمد الشيخ، المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفرنسي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، 1991.
36- محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت.

37- محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار الشروق، القاهرة، د ط، 1994.
38- محمد عبد الكريم أوزغلة، مقامات النور، ملامح جزائرية في التشكيل العالمي، دار الأوراس، الجزائر، 2007.
39- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ط 5، د ت.
40- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 2007.
41- منصور عزيغوار مرشو، سيد محمد صادق الحسين، نحن والآخر، دار الفكر، دمشق سوريا، ط 1، 2001.
42- يوسف بكار وخليل الشيح، الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة، مصر، د ط، 2008.

- المعاجم والقواميس:

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 04، والمجلد 11، دار الصادر، بيروت، (د ط ، د ت).
2- أحمد بن محمد بن علي المقري القيومي، المصباح المنير، دار المعارف، القاهرة، ط 2، د ت.
3- عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، آذار مارس، 1979.

- المراجع المترجمة:

1- ألبير كامو، أعراس، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان،
(د، ط، ت).
2- ألبير كامو، الغريب وقصص أخرى، تر: عايدة مطرجي إدريس، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 3، 1983.
3- ألبير كامو، الطاعون، تر: سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1، 1981.

4- أندريه مالرو، المذكرات المضادة، ج 1، مرآة اليمبس، منشورات عويدات، بيروت،
ط 1، 1981.
5- أحمد طالب الإبراهيمي، رسائل من السجن (1057-1961)، تر: الصادق مازيغ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
6- بول فام تييغم، الأدب المقارن، تر: سامي مصباح الحسامي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د ط، د ت).
7- جان بول سارتر، الغثيان، تر: سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1، 1964.
8- جان بول سارتر، الشيطان والرحمن، تر: عبد المنعم حنفي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د ط، د ت).
9- جان بول سارتر، مسرحيات سارتر، تر: سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، لبنان،
(د ط، د ت).
10- جان بول سارتر، عارنا..في الجزائر، تر: عايدة وسهيل إدريس، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، 1958.
11- جرمين يري، ألبير كامو، تر: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1981.
12- ناجي عويجان، تطور صورة الشرق في الأدب الانجليزي، تر: تالا صباغ، المنطقة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.
13- روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط 5، 2003.
14- شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها احد الأهالي، تر: عبد الله عمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
15- فرانسو مورو، البلاغة مدخل لدراسة الصورة البيانية، تر: الولي محمد، حرير عائشة، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2003.

- الرسائل الجامعية:

1- أمينة سوفلان، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي، "غي دي موباسان وألبير كامو" أنموذجا، رسالة ماجستير مخطوطة،إشراف، عبد القادر بوزيدة، جامعة الجزائر، 2008، 2009.

2- عبد القادر توزان، الجزائر في أدب ألبير كامو، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف، خالص صلاح، جامعة بغداد (العراق)، 1985.

3- عثمان بلميلود، صورة الصحراء الجزائرية بين ايتيان دينيه وإيزابيل ايبر هاردت، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف، شريفي عبد الواحد، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 2001.

4- فاطمة بلهوادية، تأثير مجنون ليلى في مجنون آلسا، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف، شريفي عبد الواحد وخليل نصر الدين، جامعة وهران، السانية، 2003، 2004.

5- مبخوتة رعاش صورة الجزائر في روايات ألبير كامو، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف، بوجمعة الوالي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، è200، 2008.

6- مغربي هوارية، صورة العربي بين فرانس كافكا وألبير كامو، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف، الأخضر عبد الله، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2003.

فهرس